

مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (العدد رقم: 91)

ربيع الآخر 1444هـ - نوفمبر 2022م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

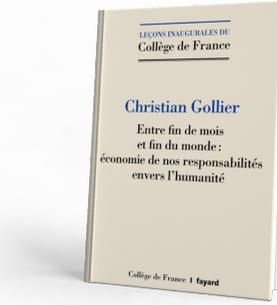
واقع الترجمة في العالم العربي وأفانها (2)

لا مَنَاصَ للعرب اليوم من اتخاذ الترجمة مشروعاً حضارياً وتتموياً، إن أرادوا اللحاق بركب الدول المتقدمة. وقد أقرّ مؤتمرُ الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي المنعقد في بغداد (نوفمبر 1891) ما يمكن أن يكون خطة لمشروع ترجمة رائع لو تم تنفيذها بحق، تتمثل في الآتي:

1. إثراء الفكر العربي وإخصابه بروائع التراث العالمي.
2. إرساء نهضة علمية بنقل العلوم المختلفة والتكنولوجيا الحديثة.
3. نقل الدراسات العميقة في شتى فروع المعرفة لتعزيز البحث العلمي.
4. المساعدة على تعريب التعليم بشتى مراحل وأواعه في جميع البلدان العربية.
5. تعريف المواطن العربي بقضايا العصر ومشكلاته.
6. تعريف العالم بنتائج الفكر العربي قديمه وحديثه.
7. تطوير اللغة العربية بحيث تصبح قادرة على التعبير عن متطلبات الثقافة الحديثة.

وخطة طموح كهذه يمكن تحقيقها عبر رافدين: الأول تأسيس مراكز أكاديمية متخصصة في إعداد وتأهيل المترجمين العرب؛ إذ لا يمكن ترك الترجمة لكل من يعرف لغة أجنبية من العرب! وواقع الترجمة العربية في هذا السياق مؤسف؛ لأن بعض المترجمين العرب، وإن كان إلى حد ما يجيد اللغات الأجنبية التي ينقل عنها، لا يجيد للأسف لغته القومية، ولا يحيط بأفاقها التعبيرية الواسعة. ولو أخذنا الترجمات الأدبية مثلاً لهالنا الأمر؛ فترجمة الأجناس الأدبية بأنواعها عصية؛ لأنها إعادة خلق جديد، تكسو العظام لحمًا ثم تُنشئها خلقاً آخر. وبهذا المعنى، يكون الشُّعْرُ خاصة أُمْنَعُ الأجناس الأدبية على الترجمة مطلقاً. ولذلك، تجافى عن ترجمته العرب القدماء؛ فلم يترجموا الشُّعْرَ الفارسي، أو اليوناني، أو الهندي، وإنما اكتفوا بترجمة النثر من تلك اللغات.

ورغم علمي بأن الدراسات الترجمة الحديثة تختلف مع هذه الرؤية، فإنني أجد التعبير عنها بهذه الصورة الصارمة أمراً لا محيد عنه؛ لأن ترجمة الشُّعْرِ استمررتُ باسترخاء تام في العالم العربي وأصبحت جزءاً تجارياً، يمتنعها كل من تخصص في لغة أجنبية. نقرأ مختارات مترجمة إلى اللغة العربية من قصائد الشاعر الإسباني الكبير لوركا، فنزهد في شُغْرٍ ركيك غتَّ بارد لا حياة فيه، ونتساءل كيف يقول لوركا هذا؟! وحين نقرأه في لغة أخرى كالإنجليزية نكتشف هول الفاجعة بأن بعض المترجمين العرب قد «خان» لوركا خيانة سيئة! ولهذا أرى أن إعداد مترجمين متخصصين أمرٌ لا محيد عنه، ولتكن لدينا كفاءات قادرة على ترجمة كل ضروب العلم والأدب؛ فالشاعر يترجم الشُّعْرَ، والروائي يترجم الرواية والقصة، والطبيب يترجم الطب، والفيلسوف يترجم الفلسفة، وهكذا بقية المجالات الأخرى. ولا يجوز ما يحدث حالياً في العالم العربي من اختلاط أوراق الترجمة بشكل عشوائي غالباً.



بين نهاية الشهر ونهاية العالم: مسؤوليةنا الاقتصادية تجاه الإنسانية
كريستيان غوليه



ابن سينا
أولغا ليتسيني



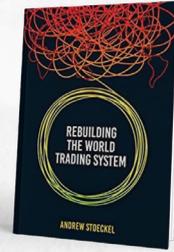
نسيان الكوني: هيجل ناقدا للبرالية
جوليا كريست



التفلسف في الإسلام
سليمان بشير ديان



ما بعد العلمانية
الدكتور كيه أشرف



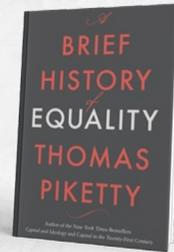
إعادة بناء نظام التجارة العالمي
أندرو بستوكيل



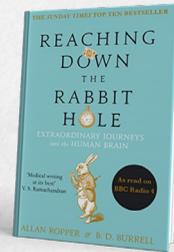
المقاومة على التنمية: لماذا تفوز بعض البلدان وتخسر بلدان أخرى
ستيفان ديركون



إعادة تشغيل المستقبل: كيفية إصلاح الاقتصاد غير المادي
جوناثان هاسكل وستيان ويستليك



تاريخ موجز للمساواة
توماس بيكيتي

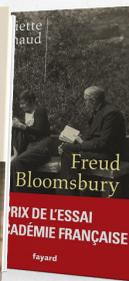
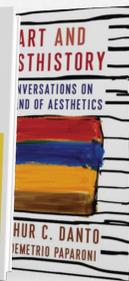
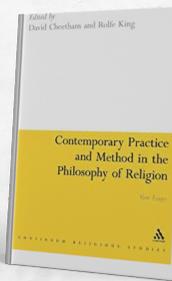


الوصول إلى عمق حفرة الأرنب: رحلات غير عادية إلى الدماغ البشري
ألان روبر وبرايين بوريل

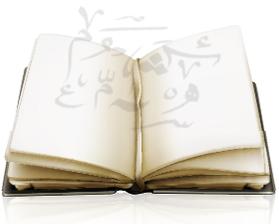


مشية الإمبراطورية
ديميتري فاسيليف

إصدارات عالمية جديدة



الصفحة الأخيرة



نسيان الكوني: هيجل ناقدًا لليبرالية

جوليا كريست

محمد الشيخ *

يحكى عن سيدة سياسية فرنسية تدعى السيدة مانون أدانتها محاكم الثورة الفرنسية بتهمة التآمر على الثورة وحكم عليها بالإعدام ونفذ الحكم يوم 8 نوفمبر 1793 أنها أدارت وجهها وهي بحضرة المقصلة نحو تمثال الحرية المنصوب بساحة الثورة وخاطبت قائلة: «أيتها الحرية، كم من الجرائم ارتكبت باسمك!». فذلك يخاطب اليوم خصوم مبدأ «الكونية» الذي تولدت عنه أهم مبادئ الحداثة - من عقلانية وحرية وكرامة وسائر حقوق الإنسان - هذا المبدأ قائلين: «أيها الكوني، كم من الجرائم ارتكبت باسمك!». لكن حينها ترد الفيلسوفة المعاصرة جوليا كريست بأن تقول: «مهلا عليكم، ما كل ما مورس باسم الكونية احترم مبدأ الكونية الحق، وإنما الكونية مفترى عليها بهذا الشأن!»

يهاجم «الكوني» إنما يهاجم «شأننا خصوصيا» خيل إليه أنه «كوني». هو الشأن الليبرالي القائم. وهذا الذي يدافع عن «الكوني» إنما يتخذ «الخصوصي». الليبرالي. على أنه هو «الكوني» عينه. وإنما الكوني الحق. الذي تؤمن به المؤلفة. شأن آخر، هو شأن منسي من لدن هؤلاء وأولئك؛ إذ من شأن الكوني أن يكون «ماكرا»؛ فهو يمكر بمن يدافع عنه وبمن يهاجمه معا. هي ذي الفرضية التي مدار الكتاب عليها.

ولكي تبرهن جوليا كريست على صدق حدسها هذا الذي جعلته في بادئ الكتاب. فإنه لئن كان قد رفع الشعار مع الفيلسوف السياسي الأمريكي المعاصر جيسون برينان حين نقده للديمقراطية المعاصرة. «فلنعد إلى أفلاطون!». نسترشد به في تولية الأمور إلى «أهل الدراية» لا إلى «أهل الولاية»، فإن جوليا كريست في نقدها للكوني الزائف ولنقادها سواء بسواء ترفع الشعار. «فلنؤب إلى هيجل!». تسترشد به في تحقيق معقول مقولة «الكوني» من مردولها. لكن أي وجه من وجوه هيجل تعود إليه؟ إنه ذاك الوجه الذي يكاد يكون نسيا منسيا من فكر هيجل الاجتماعي؛ وجه هيجل الناقد لليبرالية.

ذلك أنه تعددت الانتقادات الموجهة إلى «الكوني» سواء باسم «خصوصية معتدلة» أو باسم «خصوصية جذرية»، ولكن النزعتين سواء أجمعتا على أنه باسم مبدأ «الكونية» تمت السيطرة السياسية والاجتماعية على من يفترض أنهم شركاء لا فرقاء في الكونية، على أن هاتين النزعتين. وهذا صلب نقد المؤلفة لنقاد الكونية. إنما انتقدتا، من حيث تعلمان أو لا تعلمان، «الكوني» باسم «الفردية»؛ ومن ثمة

نزعة لاهوتية مسيحية، كما تكشف من جهة أخرى أن النقد المعاصر لهذا المفهوم يبقى بدوره، في صميم عمقه، رهين تصور ليبرالي. مسيحي.

في مستفتح كتابها، تعلن جوليا كريست أن كتابها هذا إنما يجد منطلقا له من واقعة معيشة معينة: ذلك أن «الكوني»، الذي كان يشكل عنوان مجد الغرب لعقود خلت، إنما بات اليوم محل أنواع من النقد كثيرة تبدي، إن ضمنا أو علنا، نزعة إلى السيطرة. والأنكى من ذلك، أن الذين لا يزالون يدافعون عن الكونية لا يحسنون الدفاع عنها، ولا عن توابعها. الدنونة، العقلنة، الحرية. وإنما يدافعون عنها إما بدفاع يثير السخرية أو يمتح من العقيدة المقيتة. وبالمثل، الذين يهاجمون الكونية إنما يبالغون حد اللعب مع الخطر. ثم ثمة الذين هم مذنبون لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك، فلا يختارون معسكر هؤلاء ولا معسكر أولئك، وإنما يذهبون إلى أن النقاش بين «أنصار الكونية» و«نقاد الكونية» نقاش زائف تخوض فيه نخبة مثقفة انطلاقا من برجها العاجي؛ أي هؤلاء المذنبون، لا ينتبهون إلى الآثار السياسية الفعلية لهذا النقاش على تنظيم العيش المشترك.

ويتمثل مسعى صاحبة الكتاب في تصحيح المفاهيم أولا، وذلك بناء على سؤال أساس: فيم يختلف القوم؟ إن قلنا في «الشأن الكوني»، فإن المؤلفة تدعونا إلى التنبه إلى حدس أساسي تدير عليه الكتاب برمته: إنما هذا «الكوني» الذي يحارب وذاك «الكوني» الذي يدافع عنه ما كان هو هو؛ أو هو «كوني خصوصي بالأحرى» إن ساغ هذا التعبير الذي في باديه يحمل تناقضا في الحدود وفي خفيه لا. هو شأن ظاهره كوني، وباطنه خصوصي. وبالتالي؛ فإن ذلك الذي

وصاحبة الكتاب فيلسوفة مكلفة بالبحث في المعهد القومي للبحث العلمي بباريس. تمرست على الفلسفة الاجتماعية وهي آنذاك أستاذة مساعدة للفيلسوف الألماني ذائع الصيت محيي الفلسفة الاجتماعية وصاحب نظرية الاعتراف. أكسيل هونيث. في كرسى الفلسفة الاجتماعية بجامعة جوتة بفرانكفورت بألمانيا. وبعد إنجازها أطروحة عن التعالق بين الفلسفة وعلم الاجتماع. وهو التعالق الذي لا يزال أثره باديا في هذا الكتاب حيث لا تجد الباحثة حرجا في المزاجية أثناء النظر في التفكير الكوني بين آراء فلاسفة زماننا هذا وعلماء اجتماعه. في فكر الفيلسوف الألماني أدورنو وآثار المعرفة الاجتماعية على مفهوم «النقد»؛ ثم واصلت بحثها بالتنقيب في الأصول الدينية للنقد الحديث الديني المسعى ولا تزال تفعل. ومن أهم الأعمال التي أشرفت عليها أو ساهمت فيها أو أصدرتها بمفردها: كتابها المفرد عن الفلسفة الاجتماعية عند أدورنو (٢٠١٧)، وكتابها المشترك مع أكسل هونيث: «الطبعة الثانية: أعمال مؤتمر هيجل المقام بشتوتغارت» (١٩١٧)، والكتاب الجماعي: «مناقشة النظرية الاجتماعية. مطارحات مع أكسيل هونيث» (٢٠١٩)؛ وأخيرا كتاب: «نسيان الكوني. هيجل ناقدًا لليبرالية» (٢٠٢١). وما هي إذن تتناول اليوم، بالاستناد إلى هيجل وإلى الفكر الاجتماعي (إميل دوركهايم، مارسيل ماوس، روبير هرتز، نوربرت إلياس)، المفهوم الأساسي في الفكر النقدي الحديث؛ أي مفهوم «الكوني». المشترك بين بني البشر أو ما يفترض فيه أنه كذلك. لكي تظهر أن هذا المفهوم تبقى تشوبه عوائل مسيحية، رغم نزعة الحداثة الدينية المعارضة في الظاهر لكل



أفراد. فإن هو استتبعهم أو هو استلحقهم ما عادوا هم أفراداً، وإنما باتوا إمعة (يكونون دائماً «مع»، فلا يستقلون برأي) وإمعة (دائماً يكونون تحت «إمعة» غيرهم يأترون به). هو ذا درس هيجل.

ولئن نحن أفدنا من هذا الدرس، في نقد «الكوني» (المتشابه) باسم «الكوني» نفسه (المحكم)، فإننا نصير أنها مقتدرين على نقد «الكوني» الزائف الذي تدعو إليه بعض النزعات الليبرالية المتطرفة التي تحلل دواعي الفاعلين الاجتماعيين وفق اصطلاحات المصالح الفردية الأنانية؛ علماً أن «الفردية» ما كانت هي «الأنانية». وإذ يفترض حامل لواء أدلجة الليبرالية هذا التصور المعوز للكوني، فإنه يفترض أن ما يؤسس الحداثة إنما هو الفرد الحر بحرية «طبيعية»، ثم بعد ذلك وبعده فقط يمسي هو كائناً اجتماعياً وتستحيل حريته حرية اجتماعية.

أما الذي عند هيجل، فهو أن من شأن أفراد عهد الحداثة، كما ينشؤون ويعاد إنشاؤهم عن طريق التعالق المتزايد بين الأفراد، أن يكونوا لا مصالح لهم، بالمعنى الضيق الخاص، وإنما هم يملكون قناعات متبادلة خاصة بخير الجماعة وبخير الفرد. وهنا ترى مؤلفة الكتاب أنه إذا ما نحن عاينا نقاشات اليوم الدائرة على هذا الأمر، فإننا لا بد أن نترحم على هيجل لعمق تحليله؛ إذ نادرون هم من يسوغون رغبتهم في تغيير قواعد سير المجتمع بمسوغ المصالح الشخصية. وكلهم يتحدثون من حيث يعون أو لا يعون عن عدالة مشتركة؛ أي عن عدالة كونية. هو ذا الكوني الحق.

تختم المؤلفة جوليا كريست مؤلفها بما بدأت به: تذكيرنا أن الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو ما كان مخطئاً حين نبهنا إلى مكر هيجل بنا؛ ذلك أن ما من محاولة للانفلات من قبضة هيجل إلا ويخشى منها أن تكون مجرد خديعة يخفي نفسه بها عنا لكي نجده ينتظرنا في المنعطف قائماً هناك منتصب القامة ينتظرنا، وكذلك هو الشأن بالنسبة إلى «الكوني» و«الكونية».

الكتاب: نسيان الكوني: هيجل ناقد الليبرالية

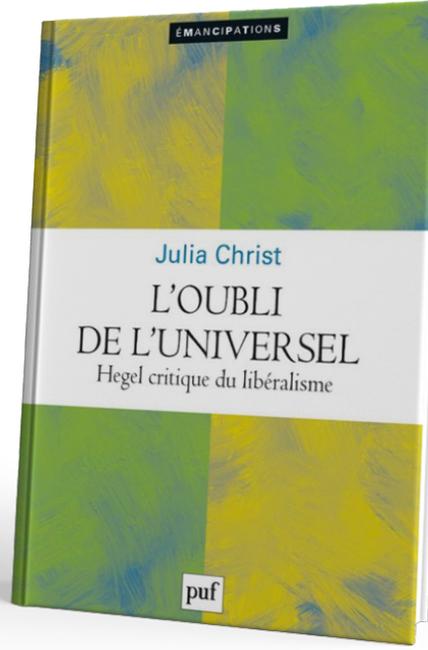
المؤلفة: جوليا كريست

دار النشر: بيف

سنة النشر: 2021

لغة النشر: الفرنسية

* أكاديمي مغربي



«واقعية»؛ وذلك تبعاً لمبدأ هيجل القائل بأن ما كل واقعي معقول؛ فاليد الشلاء، مثلاً، موجودة في الواقعة. واقعية. لكنها لا تؤدي وظيفتها. وبالتالي فهي غير معقولة. وثالثها؛ التعارض الموجود داخل الديمقراطية بين ما تتطلبه حكمة إيالة الدولة من عدم الاعتداد بالعدد (الاقتراع العام) ومن تعويل على أهل الدراية (الروية) وإن كانوا أقلية؛ مما قد يسفر عن لعبة عبثية تجعل الدولة رهينة العدد. وقد أعلن هيجل: «هنا أصل الخلاف وموطن الصدام. هنا المشكلة التي بلغها تطور التاريخ والتي عليه أن يحلها في ما يستقبل من الزمان». فكان هيجل بهذا ناقداً لليبرالية أتى قبل أوانه؛ وبالتالي ناقداً للمفهوم الفاسد للكوني من حيث هو الفردي المنكفئ على أنانيته المعادي لما هو اجتماعي؛ أي لما هو «جوهري» أو «روحي» بوفق لغة هيجل.

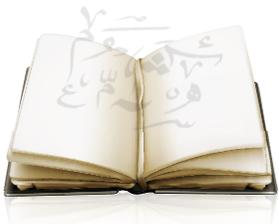
والذي تكتشفه المؤلفة لدى هيجل أنه كان مدركاً تمام الإدراك للمخاطر المتولدة عن تصور مشوه للكوني، نابع من تمثيل معيب للفرد باعتباره الفرد الحر، والذي يمكنه بعد تحقيقه حلم الفردية أن ينصب نفسه المشرع الوحيد دون سواه؛ وذلك عندما يدفعه نازعه نحو «الكوني». يقول لسانه: «أنا الكوني» بينما هذا على التحقيق مبدأ «الأنانية»؛ أي قولي: أنا أنا، على نحو ما نجده عند من سماهم هيجل أصحاب مذهب الذاتية المتطرف (كانط، فيشته، اليعقوبي....). إلى أن يغفل عن وساطة الأغيار. والحال أن هذا الفرد نفسه ليس يكون فرداً حقاً اللهم إلا وسط

سقطتا هما من حيث لا تعلمان في ما كانتا تحاربانها: التصور الليبرالي والمسيحي للفرد. ومن هنا تتساءل المؤلفة: هل من المستحيل حقاً نقد «الكوني» المسيطر من دون تبني التصور المسيحي أو التفكير في المجتمع انطلاقاً من الطراز الفردي الليبرالي؟ أم أن ثمة إمكاناً للجوء إلى تصور آخر للكوني بغاية نقد هذا «الكوني» المسيطر والذي هو في الحقيقة «خصوصي» تَفَنَع وتَدَثَّر فكان أن صيّر نفسه كونياً وما هو بكوني بل شَبَّه لأصحابه؟

هي ذي البغية من هذا الكتاب: إنقاذ الكوني، لا محبة في الكوني نفسه، أو محبة في الفلسفة التي لا يمكنها أن تستغني عن هذا المفهوم، وإنما لأن النقد المعاصر للكوني قد بات في مأزق منذ سنين.

ولكي لا يبقى كلام جوليا كريست كلاماً مجرداً أو مجرد كلام لجأت إلى تعيينه بمثال جوهري: العدالة من حيث هي مفهوم «كوني»؛ أي ما يتفق عليه سائر البشر ويطمحون إلى تحقيقه، حتى وإن اختلفوا في مضمونه. ذلك أنه ما دام البشر ينزعون هذا المنزع، فإن هذا الأمر يشهد بإمكان قيام «الكوني»؛ في صورته السياسية العينية هذه؛ أي ذلك «القانون المشترك» الذي يعكس صلة بين الأفراد لا تكون صلة سيطرة وإخضاع واستتباع؛ وذلك على خلاف بعض مذاهب الغرب في العدالة. وهنا تعود المؤلفة إلى هيجل.

وقد كان هيجل. باعتباره أول مُنظِّر للحداثة وناقد لها في الآن نفسه. قد نبه على بعض مشاكل الحداثة المتعلقة بمسألة «الكوني» والليبرالية هذه. أولها؛ مشكلة الفقر. ذلك أن تطور المجتمع المدني. القائم على تدافع الأنانيات الخاصة وتمانعها وليس على كونية مصلحة الفرد والجماعة معاً؛ ومن ثمة نقد هيجل للمجتمع المدني بوفق هذا المعنى الذي يعطيه له، ونقده بالتالي لليبرالية التي تقوم عليه. إنما تولدت عنه ظاهرة «تفقير» فئات عريضة من الناس؛ وقد انكفأ بعض أثرياء المجتمع المدني على أنانياتهم وفردانياتهم القصية. ولذلك أنشأ هيجل يقول في كتابه عن فلسفة الحق: «أما السؤال العام حول كيفية يمكن التغلب على الفقر، فهو يمثل واحدة من أكثر المشكلات إزعاجاً للمجتمع الحديث». وثانيها؛ مشكلة اعتماد دول. محسوبة على الحداثة. على مبادئ غير حداثي؛ من عسف وتسلط، بل وطغيان. إلا أن هيجل يرى أن هذه الحالات، التي يقر بأن الواقع يشهد على وقوعها، حالات «غير معقولة» حتى وإن كانت



ابن سينا أولغا ليتسيني

عزالدين عناية *

يحوز أعلام الفلسفة الإسلامية، مثل الكندي والفارابي وابن رشد وابن باجة والغزالي وغيرهم، موضعاً معتبراً في دراسة الفلسفة الكلاسيكية في الغرب لعدة اعتبارات. وهذا الكتاب الذي نعرضه وهو بعنوان «ابن سينا» أو كما يطلق عليه الغربيون «أفيشان»، هو دراسة ضافية في حدود الخطة التي رسمتها المؤلفة أولغا ليتسيني، بشأن فلسفة ابن سينا وبشأن أعماله الفلسفية. وهو مؤلف لكاتبة من جيل الدارسين الجدد، متخصصة في الفلسفة الإسلامية. وقد صدر الكتاب عن دار نشر إيطالية مرموقة «منشورات كاروتشي»، ضمن سلسلة «مفكرون» التي تعنى بكبار الفلاسفة العالميين، القدامى منهم والمحدثون. وقد ضمت السلسلة في قائمتها، منذ انطلاقتها (2010)، أربعة فلاسفة شرقيين وهم علي التوالي: ابن ميمون، والقديس أوغسطين، وابن رشد، والشيخ الرئيس الذي يعيننا في هذا العرض. صيغ الكتاب وفق تقاليد البحث العلمي المتعارف عليها، من حيث ذكر المراجع والإحالات، وإن أتى بدون مقدمة أو استهلال أو خاتمة.

وأما مجمل الفلاسفة الآخرين على غرار الفارابي، والغزالي، وابن طفيل، وابن سبعين، والرازي، وإخوان الصفا، والسهروردي، فالدراسات بشأنهم قليلة العدد. ولعل اختيار الباحثة التخصص في ابن سينا نابع من إدراكها، أو ربما لتبنيها، لافتقار الساحة الإيطالية إلى أعمال تتناول هذا الفيلسوف المهم. وكما أشرنا فالمؤلفة هي من جيل الباحثين الجدد في إيطاليا (شارفت العقد الخامس)، وقد حصلت على شهادة الأستاذية في الفلسفة من جامعة روما سنة 1991، ثم شهادة الدكتوراه سنة 2000 من الجامعة نفسها بملاحظة «ممتازة». وعموماً للباحثة شغف بالفلسفة الإسلامية الكلاسيكية ولا سيما ابن سينا. وفي ظل ندرة المؤلفات الإيطالية عن ابن سينا يُعتبر عمل أولغا ليتسيني متفرداً من حيث التطرق الشامل لفلسفة ابن سينا.

يورد المؤلف الصادر عن وزارة الثروة والأنشطة الثقافية «الحضور العربي الإسلامي في المطبوعات الإيطالية» (2000)، أن الأعمال التي تتناول ابن سينا، سواء عبر الترجمة أو الدراسة والتعليق على فلسفته، لا تتجاوز عشرة أعمال بين دراسة منشورة في مجلة أو كتاب منشور على حدة؛ فقد ترجمت لابن سينا، إلى اللغة الإيطالية، ثلاث رسائل عن التصوف من إعداد المستشرق باوزاني سنة 1962، وأتبعته بـ «رسالة عن الآخرة» للوكيتا سنة 1969، إلى جانب مجموعة من الدراسات قام بها المستشرق ألفونسو نلليو نشرت في دوريات علمية إيطالية. ولكن غالباً ما أتى الحديث عن ابن سينا مدرجاً ضمن مؤلفات تناولت قضايا الفلسفة الإسلامية عامة، أو منقولة عن مؤلفات غربية مترجمة إلى اللغة الإيطالية.

الكاتبة الروح ومراتب الأرواح، والسعادة، وهي قضايا على صلة، كما ترى، بمحاور الفلسفة المعاصرة، ولذلك غالباً ما يحضر ابن سينا في المؤلفات المعنية بهذه المواضيع. اختارت الكاتبة في بناء مؤلفها، أي في كل محور من المحاور المذكورة، ضمّ وحدات مفاهيمية واردة في أعمال ابن سينا، كما سعت إلى شرحها والتعليق عليها، وهو المنهج المتبع في الكتاب بدقة وبصرامة في مسعى للإحاطة بفلسفة ابن سينا. والملاحظ أن هناك تشابهاً في بنية المحاور الأربعة الكبرى الرئيسية للكتاب؛ لكن مع تغيير في المواضيع مع كل محور جديد. وهو يخبر عن تمكّن الباحثة من موضوع بحثها وإلمامها به؛ إذ ضمن المحور الأول، على سبيل المثال، تتناول الوحدات التالية: مفهوم المنطق، وحقل تطبيقات المنطق، ومواضيع المنطق، ومسألة العلاقة بين اللغة والمنطق، إلخ.

غير أن ما يلفت نظر المتمخّن في الكتاب، وربما القارئ للكتاب قراءة نقدية، أن الكاتبة تتناول علماً من أعلام الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية، في غياب ربط الفيلسوف بالحاضنة الدينية والكلامية السائدة في عصره وقبلة؛ إذ أتى جلّ تركيز الباحثة ليتسيني على الغوص في نص ابن سينا، من حيث تفكيكه، دون تنزيل الفيلسوف منزلته اللازمة في حاضنته الحضارية والدينية. وهو ما كان سيضيف للكتاب ثراءً أوفر ومعلومات جمة، غير أن الباحثة اقتصرت على المنهج الذي رسمته لمؤلفها. ولو تمعنّا في مختلف الإنتاجات المخصصة للفلاسفة المسلمين في اللسان الإيطالي في الحقبة المعاصرة، فإنّه يبقى ابن رشد الأوفر حظاً في الإيطالية بين رواد الفلسفة الإسلامية، من حيث العناية به ترجمة ودراسة.

إذ تنطلق المؤلفة أولغا ليتسيني في معالجة المحاور الرئيسية لكتابتها، من خلال التطرق إلى أربعة عناصر، تتناول فيها فلسفة ابن سينا ومفاهيمه الفلسفية ونظراته إلى العالم. في المحور الأول المعنون بـ «المنطق: المعرفة، الحقيقة»، تعالج المؤلفة هوية المنطق لدى ابن سينا، باعتباره آلة، والمنطق كعلم، والمنطق كصناعة، مع التعرّيج بشكل متواصل على منابع فلسفته، ومظاهر الإضافة والنقل أو التبني الوارد من غيره؛ إذ يرد العرض العام للبناء المعرفي الأولي لفلسفة ابن سينا بشكل جلي، لا سيما وأن الكاتبة في عرضها، تستحضر المفاهيم الأساسية لابن سينا بالعربية مكتوبة بالخط اللاتيني، وتردّدها بشرح بالإيطالية وبيان لمقصود ابن سينا من ذلك. وهو منهج بيادوغوجي ذكي اعتمدته الكاتبة في كامل المؤلف ييسر على المتابع غير المتخصص.

لتنقل ليتسيني لاحقاً إلى محور ثان، تتحدّث فيه عن «الميتافيزيقا من منظور ابن سينا»؛ فتحاول استخلاص أصول فلسفة ابن سينا متتبعةً مختلف مؤلفاته المتاحة في اللغات الغربية، وشرح تلك المفاهيم ونقدتها وإرجاعها إلى مصادرها اليونانية إن بدا لها ذلك، ساعيةً إلى الإحاطة بمختلف عناصر المبحث الميتافيزيقي لدى ابن سينا، على غرار: الموجود بما هو موجود، والممكن الوجود، والواجب الوجود، معالجةً مسألتي الإلهيات والإشارات لديه. وليكتمل محور الميتافيزيقا مع محور ثالث بعنوان: «عالم ما تحت القمر»، تحاول الباحثة فيه أن تأتي على مجمل العناصر التي تناولها ابن سينا (المادة، والشكل، والأجسام، والحركة، والزمن، والطبيعة...). ثم في محور أخير من مؤلفها بعنوان «الإناسة الفلسفية»، تتناول



الإسلامية مدفوعا لمتابعتها؛ فقد حرصت الكاتبة طوال الأبواب الأربعة للكتاب على تضمين مفاهيم ومقولات ابن سينا بالعربية، مكتوبة بالحرف اللاتيني، وإردافها بالترجمة الإيطالية. وهو ما ييسر على القارئ المتابعة. وقد جاءت ترجمة المفاهيم والمقولات دقيقة، وهي ليست بالقليلة في الكتاب، وأرجح أنها استعانت بمؤلفات في الشأن في لغات أخرى لإعدادها.

من جانب آخر تم نشر الكتاب من قبل دار نشر جادة، وقد طبع ضمن سلسلة «بنساتوري» (مفكرون) المتابعة والمقروءة. وهو ما جعل الكتاب يلقي قبولا حسنا لدى المهتمين بالفلسفة الإسلامية. هذا وقد تم عرض الكتاب بمشاركة المؤلفة، عند صدوره، في بعض حلقات المهتمين بالفلسفة الإسلامية. كما ضمّ الكتاب بيبليوغرافيا ضافية شملت الفهارس البيبليوغرافية عن ابن سينا، ومعاجم مصطلحات ابن سينا، وترجمات ابن سينا في اللغات الغربية، والأعمال التي كتبت عن ابن سينا. هذا إلى جانب فهرس للأعلام وقائمة بالمختصرات. وقد حوى الكتاب أيضا جرّداً بأعمال ابن سينا وبالمحطات الهامة في حياته على مدى أربع صفحات ونصف.

لا شك أن الكتاب يسدّ نقیصة واضحة في إيطاليا متعلقة بالفلسفة الإسلامية. وهو ما جعله يلقي ترحيباً في أوساط المهتمين بالفلسفة الإسلامية، مع أن صاحبه ليست من كبار المتخصصين المعروفين بالفلسفة الإسلامية، بل هي باحثة واعدة. لكن الملاحظ أن قلة نادرة في إيطاليا، في الراهن الحالي، ممن يعرفون الفلسفة الإسلامية من مصادرها المدونة بالعربية. وهم غالباً ما يستقون إمامهم بهذه الفلسفة مما يرد من ترجمات وكتابات في لغات أوروبية أخرى، وجلّ المدرّسين والباحثين في هذا الحقل يعوزهم الإمام بالعربية، ولعلّ ذلك أبرز نقیصة في إيطاليا. الأمر نفسه ينطبق على هذه الباحثة، برغم الجهد المبذول في إعداد نصّها، فهو لا يرتقي إلى أن يكون مرجعاً أكاديمياً متفرداً في مجال فلسفة ابن سينا، وإن غطى نقصاً معتبراً.

الكتاب: ابن سينا

تأليف: أولغا ليتسيني.

الناشر: منشورات كاروتشي (روما - إيطاليا)

باللغة الإيطالية.

سنة النشر: 2022.

عدد الصفحات: 339 صفحة.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



تتعدى القراءة، أو معرفة المصطلحات الفلسفية التي اشغلت عليها في كتابها. وفي تأثيث كتابها اعتمدت المؤلفة على مصادر ومراجع ذات أهمية عالية مدوّنة باللغات الأوروبية الحديثة (الفرنسية والإنجليزية والألمانية)، مع غياب تام لما كتبت عن ابن سينا في العربية أو في اللغات الشرقية عامة.

على مستوى آخر ثمة مصادرة شائعة، في كون الفلسفة الإسلامية تستمد أصولها من فلسفة الإغريق. لم أعاين في ثنايا الكتاب تصويبا أو انتقادا لها، بل ترديداً لها وتطبيقاً لها على فلسفة ابن سينا. ولا أقدر أن الباحثة أولغا ليتسيني قادرة على الخروج من برائن ذلك الحكم الشائع، لسبب بسيط، ألا وهو استهلاكها للمنتج الغربي عن الفلسفة الإسلامية، لكونها تعوزها قدرة الاطلاع المباشر على أمهات النصوص في لغاتها الأصلية.

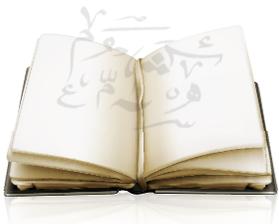
وعلى مستوى المادة لا يندرج الكتاب ضمن تاريخ الفلسفة، بل يعتمد بالأساس المنهج التفسيري التحليلي في بنائه، حيث تعيد المؤلفة تفكيك مقولات ابن سينا وتركيبها. وأما من حيث وفائها للعناصر الأربعة التي تناولت من خلالها فلسفة ابن سينا (المنطق: المعرفة، الحقيقة -

الميتافيزيقا من منظور ابن سينا - عالم ما تحت القمر - الإناسة الفلسفية)، فهناك إحاطة وإمام وتدقيق في الإحالة. وأقدر أن الكاتبة على إمام بأعمال ابن سينا وهو ما ييسر لها الوفاء بالمنهج المتبع. وعلى العموم، فهو يبقى كتاباً فلسفياً مبسطاً، يخلو من التجريد المنفر؛ ذلك أن إيطالية الكاتبة رشيقة وواضحة، وأقدر أن أسلوبها الكتابي يجعل حتى القارئ غير المتخصص في الفلسفة

في كتابها الحالي اعتمدت المؤلفة بشكل أساسي على أعمال ابن سينا المترجمة إلى اللغات الغربية (في اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية)، بالإضافة إلى الأعمال الصادرة عن فلسفة ابن سينا في هذه اللغات. في حين من جانب الاطلاع على المصادر العربية والفارسية واللاتينية، فإن الباحثة أولغا ليتسيني تصرّح بمحدودية إمامها بهذه اللغات، وهو ما لا يتعدى القراءة ومعرفة بعض المصطلحات والمفاهيم. ولربما نقیصة المستعربين الجدد وعلماء الإسلاميات في إيطاليا في الحقبة الراهنة، ألا وهو تدني إمامهم بالعربية في الجمل؛ ففي جامعة «الأورينتالي» في نابولي، تُعدّ الأستاذة كارميللا بافيوني مرجعاً في الفلسفة الإسلامية، وأفضل المتخصصات في هذا الحقل في إيطاليا، في الحقبة الحالية، هي محدودة الإمام جدا بالعربية؛ فلدي معرفة عن قرب بها، إذ درّسنا سوياً في الجامعة نفسها.

صحيح أن المؤلفة أولغا ليتسيني ملّمة بما كتبت عن فلسفة ابن سينا في اللغات الغربية الثلاث المذكورة، غير أن نصوصها المرجعية هي نصوص مترجمة. تفنك الباحثة من خلالها فلسفة ابن سينا وتعيد تركيبها، وهو ما يعرب عن تمكّن ينم عن قدرة في الإحاطة بمفاهيم ابن سينا. كما أن القارئ، وبوجه عام، لا يستشعر ثقل العرض أو الشرح، بل تميز لغة الكاتبة الفلسفية سلاسة. وإن يكن الكتاب ينم عن متابعة دؤوبة لما كتبت عن ابن سينا، فإنه لا يمكن القول إنه يأتي ضمن مشروع فكري أو فلسفي شامل لصاحبه. ولا أقدر أن الكتاب يمثل إعادة قراءة جذرية لفلسفة ابن سينا، وإنما هو محاولة شرح للخطوط الكبرى لفلسفة الشيخ الرئيس. وربما الشيء المهم الذي يمكن أن يصادفه القارئ العربي في كتاب ليتسيني هو تنبيه الكاتبة إلى ما بلغته الدراسات النقدية لابن سينا في الأوساط الغربية. مع ذلك، يبقى البحث من الأبحاث المعتبرة والمهمة في إيطاليا؛ نظراً للنقص الجلي في مجال التعريف بفلسفة الشيخ الرئيس وبالفلسفة الإسلامية عامة.

وبالإضافة إلى هذا الكتاب الذي نعرضه نشرت الباحثة عملاً ثانياً سبق هذا العمل، وهو بعنوان «الفيض: بحث حول أصول الميتافيزيقا والفيزياء لدى ابن سينا»، منشورات باجينا، إيطاليا ٢٠١١، وهو من حيث القيمة العلمية أقل من الكتاب الحالي. كما نشرت مجموعة من المقالات والدراسات والأبحاث حول فلسفة ابن سينا في مجالات متخصصة وشاركت في العديد من الملتقيات. بقي أن نشير إلى أن معرفتها بالعربية محدودة جداً ولا



بين نهاية الشهر ونهاية العالم: مسؤوليتنا الاقتصادية تجاه الإنسانية كريستيان غوليه

سعيد بوكرامي *

لا مناص للأجيال القادمة من مواجهة مخاطر تغير المناخ، وستتوقف مشقتها على التضحيات التي يقدمها الإنسان لمواجهة مسؤوليته الأساسية وهي المحافظة على استمرارية الحياة على هذا الكوكب الفريد من نوعه.

تغير المناخ مثل (القرض البيئي بمعدل صفر، والائتمان الضريبي لانتقال الطاقة، وشهادة توفير الطاقة) تشكل تكلفة عالية، حيث تبلغ حوالي ٣٥٠ يورو لكل طن من الكربون استبعد انبعاثه، والتي تدفع بشكل غير مباشر في فرنسا (ص ١٧). يسوق المؤلف مثال تكلفة الدعم الذي تقدمه الدولة الفرنسية لتركيب الألواح الشمسية، و يبلغ ١٣٥٠ يورو لكل طن من ثاني أكسيد الكربون مُنع انبعاثه. تزيد هذه النفقات الإضافية من فواتير الكهرباء على جميع الفرنسيين بسبب المساهمة في خدمة الكهرباء العامة (ص ١٦). كما أن تكلفة استبدال السيارة الوقودية بسيارة كهربائية تصل إلى ٣٠٠ يورو للطن من الكربون المستبعد. على سبيل المقارنة، إن استبدال غلاية تعمل بالزيت بمضخة حرارية أو تقليل الحد الأقصى للسرعة على الطريق من ٩٠ إلى ٨٠ كم / في الساعة فإن كليهما يكلف ٥٠ يورو لكل طن من الكربون المستبعد. لهذا السبب يدعو كريستيان غوليه إلى الحكم على فعالية أي سياسة مناخية وفقاً لتكلفتها حسب كل طن من الكربون الذي يمكن تجنبه؛ ولذلك فهو يقترح إعادة النظر في تقييم «قيمة الكربون» ورفض الإجراءات بشكل منهجي بتكلفة أعلى من ذلك (ص ٢٢).

يعتبر المؤلف أن إنشاء ضريبة الكربون هي الطريقة الأكثر فاعلية للحفاظ على البيئة: من خلال جعل الملوثين يدفعون مباشرة مقابل ثاني أكسيد الكربون الذي يبعثونه، فإن التغيير في الممارسة يجعل من الممكن تقليل انبعاثات الغاز إلى ظاهرة الاحتباس الحراري الذي سيصبح أكثر فائدة، مما يجعل من الممكن موازنة المصالح الفردية مع المصلحة العامة. وهذا من شأنه أيضاً أن يجعل الاستثمار في تطوير التقنيات الخضراء اللازمة للانتقال الطاقوي أكثر نجاعة ومردودية. إن إنشاء ضريبة الكربون الأوروبية الموحدة من شأنه أيضاً أن يجعل من الممكن الكشف عن التكلفة العالية للتحويل البيئي، مع وضع أداة منخفضة التكلفة لمكافحة تغير

ومع ذلك، فإن الإرادة لحماية البيئة تواجه حدوداً معينة: من جهة، فإن جزءاً كبيراً من السكان منشغل قطعاً بالحاجة الأكثر إلحاحاً للبقاء على قيد الحياة وهي بلوغ «نهاية الشهر»؛ من جهة أخرى، فإن الجهود التي يبذلها الأفراد اليوم (تقليص استهلاك السلع والطاقة) لن تثمر إلا في المستقبل، وبالتالي فستكون لصالح الأجيال القادمة (ص ١٣). لذلك يرغب كريستيان غوليه في التوفيق بين مكافحة تغير المناخ والاحتياجات الاقتصادية المفروضة علينا اليوم وإيجاد طريقة لمواءمة المصالح الفردية مع الصالح العام. الهدف من الدرس هو تعبئة «أسلوب عملي للتقييم يجعل من الممكن الحكم على كل عمل من حيث مساهمته في الصالح العام» (ص ١١). يعتبر المؤلف أن ضريبة الكربون المنفردة، أي المقاربة التي تتمثل في «فرض على أي شخص أو أي شركة أن تدفع قيمة الكربون عن كل أطنان ثاني أكسيد الكربون المنبعثة» (الصفحة ٣٠)، هذا الإجراء سيحقق أكبر الفوائد كما أن معظم ميطان الكتاب خصصت له. ينقسم الدرس إلى مرحلتين رئيسيتين: أولاً، يقوم الخبير الاقتصادي بإلقاء نظرة عامة على الأدوات المختلفة لمكافحة تغير المناخ (توربينات الرياح، وتركيب الألواح الفولتية على الأسطح، وغير ذلك من التكنولوجيا البديلة)؛ ثانياً، يحشد بعض النظريات الاقتصادية من أجل تقدير القيمة الذي يجب أن تحدد عندها ضريبة الكربون. وبينما يوجد اليوم إجماع على تغير المناخ إذ صار حقيقة لا مناص منها، فإن طريقة التدخل لمحاربه لا تزال موضع نقاش وشك (ص ١٢). لا أحد يريد توربينات الرياح على أرضه، والوقود الحيوي مرفوض لأنه يثري الأعمال التجارية الزراعية، وتسعى الدول للتخلص من الطاقة النووية لأنها تنتج نفايات مشعة. بالنسبة لكريستيان غوليه، «لا يمكن أن يؤدي حشد المعارضات إلا إلى الجمود» (ص ١٢). بالإضافة إلى ذلك، فإن معظم الإجراءات المتخذة اليوم لمكافحة

حان الوقت للقيام بعدد لا يحصى من الإجراءات المناخية، ما هي هذه الإجراءات التي يجب تنفيذها بشكل عقلاني، وبأي تكلفة كانت، وبأي صعوبة ممكنة، ومتى يجب تنفيذ ذلك؟ إذا كان من البديهي أن نفضل الآن مواجهة الصعوبات الاقتصادية حتى «نهاية الشهر»، فإلى أي مدى ينبغي أن نذهب في تعزيز النظر في الآثار طويلة المدى لجهودنا من أجل استدامتها؟ إلى أي مدى يجب أن نذهب في اعتمادنا على النمو الاقتصادي والعلمي لحل مشاكلنا التراكمية؟ يطرح المفكر الاقتصادي المتخصص والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٧ كريستيان غوليه أسئلته في تقديمه للدرس الافتتاحي في كولينج دو فرانس المرموق عام ٢٠٢١ قائلا: «سأسعى في هذه الجلسة الافتتاحية للإجابة على هذه الأسئلة من خلال مناقشة وسيلتين عمليتين تحددان الإجراءات المناخية التي قد تنفذ أو لن تنفذ، وهما: معدل الخصم والقيمة المخصصة مقابل الكربون».

يعتبر كتاب «بين نهاية الشهر ونهاية العالم» الدرس الافتتاحي الذي قدمه كريستيان غوليه عندما تولى كرسي الأستاذية لدرس «المستقبل المشترك والمستدام» في كولينج دو فرانس في ديسمبر ٢٠٢١. بالنسبة للأستاذة الجدد، تمثل هذه الدروس الافتتاحية فرصة لتقديم خصائص تفكيرهم مقارنة بأفكار أسلافهم بالإضافة إلى وضع تشخيص للمعرفة الحالية حول موضوع محاضراتهم. ونعلم أن كريستيان غوليه خبير اقتصادي متخصص في اقتصاديات المخاطر ومتغيرات البيئة. وكان أحد مؤسسي مدرسة تولوز للاقتصاد، التي أدارها منذ عام ٢٠٠٩. بالإضافة إلى أنشطته البحثية والتأليفية، كما شارك في صياغة التقريرين الرابع والخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ.

يقر المؤلف أن حتمية تغير المناخ تلزم البشرية حالياً بتحمل مسؤوليات معينة تجاه الأجيال القادمة، بما في ذلك تنفيذ إجراءات حاسمة للحد من امتداد التغيير.



في الواقع، يعتمد الحل المقترح على العديد من مبادئ هذا التيار الاقتصادي، والتي لا تخضع لإجماع علمي: وبحسب هذه النظرية يجب أن يتشكل المجتمع من أفراد عقلانيين، يقيمون باستمرار مصالحهم والإجراءات التي يتعين تنفيذها. كما أن الرفاه على المدى القصير سيعتمد إلى حد كبير على التقييم النقدي، وهذا سيجعل الإشارات المرسلّة بواسطة السعر العامل الأكثر أهمية عند اتخاذ القرارات. يتجاهل هذا المنطق الحوافز الاجتماعية الأخرى، مثل المعايير الثقافية للاستهلاك مثل (شراء هاتف محمول جديد كل عامين)، والقيم الشخصية ك(النزعة النباتية أو حماية البيئة) والتنظيم الاجتماعي مثل (الحاجة إلى قيادة السيارة من أجل العمل بسبب عدم التمكن من الوثوج إلى وسائل النقل العام). عند القيام بذلك، تتحول القضايا المتعلقة بالانتقال البيئي إلى أسئلة اقتصادية بحتة.

وهكذا يصبح تغير المناخ فشلاً بسيطاً للأسواق، يمكن حله عن طريق تعديل أسعار الضريبة على انبعاثات الكربون (ص ٣١). علاوة على ذلك، فإن المؤلف لا يأخذ بعين الاعتبار تكلفة العواقب المستقبلية لتغير المناخ، والتي تقدر الآن تكلفتها الهائلة بأنها أعلى من تكلفة التخفيف من تغير المناخ.

أخيراً، يضع المؤلف تأثير المخاطر والشك في حدوثها إلى جانب تغير المناخ، على الرغم من أن تحديد التغير وقياسه وصل إلى مرحلة اليقين من قبل الخبراء في العديد من المجالات العلمية. باختصار، لا يمكن إنكار جهد ومواظبة كريستيان غوليه الذي يرغب حقاً في الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بهدف مكافحة تغير المناخ وفي سبيل ذلك خصص بحثه ودراساته لدق ناقوس الخطر والتأكيد على أن العلوم الاقتصادية والبيئية يمكن أن تساعد في تغيير السلوك الاجتماعي والحد من التغير المناخي لتفادي المخاطر البيئية والاقتصادية القادمة.

الكتاب: بين نهاية الشهر ونهاية العالم:

مسؤوليتنا الاقتصادية تجاه الإنسانية

المؤلف: كريستيان غوليه

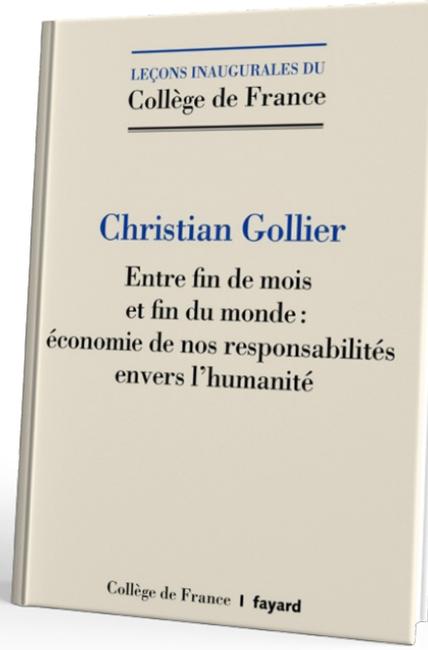
الناشر: دار فايارد، باريس، فرنسا

تاريخ النشر: 2022/6/15

عدد الصفحات: 88 صفحة

اللغة الفرنسية

* كاتب ومترجم مغربي

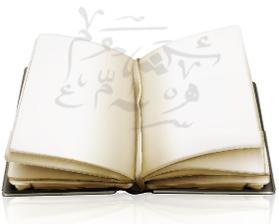


قراراتهم الحالية، لا سيما فيما يتعلق بالاستثمار. ولأن هذا الإجراء لا يتمتع برأي مؤيد، يقترح كريستيان غوليه إعادة توزيع الإيرادات الضريبية الناتجة عن ضريبة الكربون من أجل زيادة القبول الاجتماعي. من خلال إعادة توزيع المزيد على شرائح السكان ذات الدخل المنخفض، وبذلك سيكون من الممكن مواجهة تأثير زيادة التفاوتات الاجتماعية الناتجة عن هذا الإجراء (ص ٣٣). تعتبر ضريبة الكربون المنفردة بالنسبة للمؤلف وسيلة ليبرالية عادلة، تعتمد إلى حد كبير على آليات السوق الحالية، لتشجيع التضحية التي يجب بذلها اليوم لضمان رفاهية الأجيال القادمة (ص ٣١). يختتم كريستيان غوليه درسه باقتراح أن سعر انبعاث طن من ثاني أكسيد الكربون يجب أن يكون «مساوياً للقيمة الحالية لتدفق الضرر الذي يولده هذا الانبعاث» (ص ٦٣). لهذا يدعو إلى إدخال ضريبة منخفضة عن الكربون في البداية، والتي ستزداد خلال العقود القليلة القادمة. ويوصي باستخدام معدل الخصم بنسبة ٤٪ وتنفيذ تسعيرة قدرها ١٥٠ يورو للطن من ثاني أكسيد الكربون اليوم، وزيادة تدريجية إلى ٥٠٠ يورو حتى عام ٢٠٥٠.

في حين أن الهدف من الدرس هو تقييم كل إجراء لمكافحة تغير المناخ باستخدام منهج موضوعي، يمكننا أن نرى أن كريستيان غوليه يتخطى بسرعة عدداً من الإجراءات المهمة التي تناولها عدد من الباحثين في مجال المناخ والمخاطر البيئية. في الواقع، يبدو أن الهدف من الكتاب هو تكريس ضريبة الكربون الفردية، وهذه هي الحجة الحصرية التي تركز عليها النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة.

المناخ. ولكن كيف يمكن قياس السعر العادل الذي يجب أن يدفع مقابل الطن من الكربون؟ إذا كانت التكلفة منخفضة، فقد لا يوفر حافزاً كافياً لتقليل انبعاثات ثاني أكسيد الكربون أو الاستثمار في تطوير التقنيات الخضراء، أما إذا كانت مرتفعة كفاية، فإنها ستخاطر بخفض القوة الشرائية للأفراد بشكل كبير ومعاوقة ذوي الدخل المنخفض. بالنسبة لكريستيان غوليه، يتطلب تسعير الكربون الأخذ بعين الاعتبار عاملين رئيسيين: أولهما التفضيل الممنوح للحاضر مقابل المستقبل ومعدل الخصم للتدفقات المستقبلية.

من جهة، فإن الجهود التي يبذلها فرد أو شركة لتقليل انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، على سبيل المثال عن طريق خفض درجة منظم الحرارة (المكيف)، يؤدي إلى التقليل من ظروف العيش المريح، ولذلك يجب ترجمته إلى مكافأة نقدية (ص ٢٧). من أجل حث الناس على التضحية من أجل الأجيال القادمة، يجب تعويض هذه التكلفة المالية، لأن هذه التضحية تقلل من الاهتمام الفردي بتغيير العادات. من جهة أخرى، فإن معدل الخصم للتدفقات النقدية المستقبلية هو أداة اقتصادية عملية تجعل من الممكن تحديد القيمة التي سيحققها إنفاق «يورو واحد» في المستقبل. استناداً إلى مبدأ النمو الاقتصادي الدائم، يعتقد الاقتصاديون أن الأجيال القادمة ستكون أكثر ثراءً من السكان الحاليين، وبالتالي فإن وضع تدابير لمكافحة تغير المناخ اليوم ستكون أكثر تكلفة من الغد. ولهذا السبب، فإن «مطالبتنا بتقديم تضحيات لصالح الأجيال القادمة هي مطالبة الناس الأكثر فقراً بتمويل الثروات» (ص ٤٦) مما سيزيد من عدم المساواة بين الأجيال. ومن هنا تأتي الفائدة من تضمين معدل الخصم في حساب قيمة الكربون، والذي يحدد «الحد الأدنى من المعدل الاجتماعي والاقتصادي لعائد الاستثمار للتعويض عن اللامساواة بين الأجيال» (ص ٤٧)، وإلا فإن الاستثمار في المستقبل ببساطة لن يكون مرغوباً فيه. إن كريستيان غوليه يسلط الضوء من جانبه على أوجه الارتباط المتعلقة بتغير المناخ، والتي تجعل مثل هذا المستوى من النمو غير مرجح كلياً. واستناداً إلى الملاحظة القائلة بأن الأفراد يدخرون المزيد من الأموال في فترات المخاطر الاقتصادية، يقترح استخدام معدل خصم منخفض، من أجل تشجيع المزيد من الاستثمارات في المستقبل والاستعداد بشكل أفضل لمعالجة حالات الارتباط الناتجة عن تغير المناخ (ص ٥٣). يبدو أن تسعير ثاني أكسيد الكربون وسيلة فعالة لتشجيع الأفراد والشركات على أخذ المستقبل بعين الاعتبار في



المقاومة على التنمية: لماذا تفوز بعض البلدان وتخسر بلدان أخرى ستيفان ديركون

محمد السالمي *

لقد شهد العالم النامي تحولات هائلة خلال العقود الثلاثة الماضية، حيث صاحبها انخفاض في معدل الفقر، وارتفاع المستوى الصحي والتعليم للأفراد. ومع ذلك، فقد فشل العديد من الدول في التقاط محاسن هذه الموجة. وللإجابة عن هذه المفارقة في ازدهار بعض الدول النامية وفشل البعض الآخر؛ يأتي ستيفان ديركون في كتابه "المقاومة على التنمية" لمناقشة هذا المحور مستندا على أبحاثه الأكاديمية فضلا عن خبرته السياسية والاستشارية لكثير من الدول خلال العقود الماضية. ويشير ديركون أن نجاح الدول لا يكمن في القرارات أو السياسات المتخذة لرفع الناتج الإجمالي، بل يتمحور في مصطلح "الصفقة التنموية"، حيث تتحول النخب في أي بلد من حماية مواقعها إلى المقاومة على مستقبل قائم على النمو. وعلى الرغم من العيوب التي قد تصاحب مثل هذه الصفقات، فإن الصين تعد من بين قصص النجاح الأكثر لفتا للنظر، إلى جانب إندونيسيا وبنغلاديش وإثيوبيا. وبالمجمل، يدور الحديث في هذا الكتاب حول كيف ولماذا حدثت التنمية في هذه البقعة وليس في مكان آخر، وماهي الإخفاقات، والنجاحات المرتبطة بتجارب الدول.

المجتمع أو الاقتصاد أو السياسة الذين يتخذون القرارات أو يمكنهم التأثير على واقع البلد). ونجاح هذه الوصفة؛ يرى ديركون أهمية استيفاء عدة عوامل منها التفاهات بين النخب لإحلال السلام والاستقرار، فالصراع وعدم الاستقرار يقصران الآفاق في عملية صنع القرار السياسي والاقتصادي. والعامل الثاني يتمثل في حالة النضج والتعقل لدى النخب؛ فهناك العديد من الناس الذين يدعون أن الدولة لا تلعب دورا في استغلال إمكانياتها، ولكن هناك اختلافات كبيرة في مقدار ما تتحملة الدولة وفي السعي لتحقيق التنمية. ولذلك يتطلب النجاح إيجاد توازن بين ما يجب على الدولة القيام به وما يمكنها القيام به.

أما العامل الثالث، فهو القدرة على التعلم من الأخطاء وتصحيح المسار. لا توجد وصفة لإيجاد الطريقة الصحيحة لتعزيز النمو والحفاظ عليه، فالنجاح ليس مضمونا، وسوف ترتكب الأخطاء، وسوف تتآكل الثقة في القادة في بعض الأحيان. قد يتعرض الاستقرار للتهديد لأن بعض النخب يكسبون أقل أو حتى يخسرون. فإن إيجاد طرق لتصحيح المسار أمر ضروري للنجاح، الأمر الذي سيعتمد على آليات لمحاكاة أولئك المكلفين بتنفيذ الصفقة وهنا تكمن المقاومة.

الفعلية فهناك خلل بالتحليل. هناك فجوة كبيرة بين الروايات المتعلقة بتحديات التنمية وحلولها والممارسة الفعلية للتنمية التي أدت إلى التقدم على أرض الواقع. وبالتالي، الكثير من النصائح غير المدروسة والمساعدات الدولية يجري تقديمها من قبل الأوساط الأكاديمية والمنظمات الدولية المعنية بالتنمية دون وعي بهذه الفجوة.

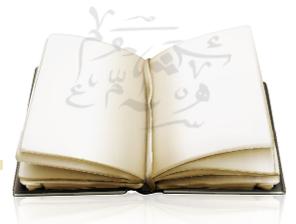
كما أن هناك حاجة إلى فهم أفضل للسبب الذي دفع بعض البلدان إلى تنفيذ إصلاحات اقتصادية مهمة، في حين أن بلدانا أخرى لم تفعل ذلك أبدا، على الرغم من أنها كثيرا ما تدعي أنها ستفعل ذلك كجزء من الترتيبات مع الممولين الدوليين. وعلى الرغم من أن كلتي المجموعتين من البلدان اعتمدتا نفس الخطاب، فإن البلدان الأقل نجاحا لا يبدو أنها تتخذ إجراءات تتسق مع النمو والتنمية. وسيكون من السداجة الإشارة إلى أن هذه الدول وقادتها ببساطة لا يعرفون ماذا يفعلون حيث لم تكن مجرد مسألة جهل أو نقص في المشورة الجيدة. إن فهم سبب اتباع الخطاب بأفعال في بعض المواضع وليس في مواضع أخرى هو محور فهم كيفية عمل التنمية.

يتطلب لتحقيق النمو والتنمية بشكل ناجح وجود صفقة تؤدي نحو التزام أساسي بالنمو والتنمية من قبل أعضاء النخبة (أي الأشخاص داخل نسيج

وللتعريف بالمؤلف، فستيفان ديركون هو أستاذ السياسة الاقتصادية ومدير مركز دراسة الاقتصاديات الأفريقية في جامعة أكسفورد. وقد شغل منصب كبير الاقتصاديين في وزارة التنمية الدولية، وهي الإدارة الحكومية المسؤولة عن سياسة المساعدات والإنفاق في المملكة المتحدة. ومنذ عام ٢٠٢٠، عُيّن مستشارا لوزراء الخارجية المتعاقبين في المملكة المتحدة. تتمحور اهتماماته البحثية حول فشل الأسواق والحكومات خاصة في أفريقيا، وكيفية تحقيق التغيير.

لا يتعلق الكتاب بالمساعدات ولكنه مناقشة لطبيعة «صفقة النخبة» في الدول النامية، وكيف تتطور بعض هذه الصفقات إلى «صفقات تنموية» تؤدي إلى نهضة اقتصادية وتنموية كبيرة. بالنسبة لديركون، يتعلق الأمر بكيفية تقسيم النخب للسلطة وغنائم الحكم، وتنتقل هذه الصفقة إلى رؤية طويلة الأجل، ويخضع الجميع للمؤسسات وسيادة القانون واحتياجات الاقتصاد بشكل شمولي بدلا من مجرد الاستيلاء على ما في وسعهم.

يشير ديركون إلى وجود لغط واسع داخل المجتمع الأكاديمي لتوصيف الدول النامية. فلو بدأنا بالنظر في مستويات المعيشة، أو مستوى الصحة، أو التعليم أو غيرها من إحصاءات، وربطها بالممارسات



يُمكن الأشخاص الذين يعيشون في الفقر من تحسين نوعية حياتهم ويحمي الحركات الاجتماعية والناشطين والمنظمات غير الحكومية من أن يتم استمالتهم من قبل أصحاب السلطة. ومع ذلك، فإن هذا لا يشير إلى أن الأنظمة الديمقراطية أكثر صعوبة في العمل بفعالية من الأنظمة الاستبدادية. ووفقا لديركون، فإن هيكل المساءلة في نظام الحوكمة هو عامل حاسم في دفع عجلة التغيير. وعلى النقيض من الديمقراطيات، التي تركز أكثر على المساءلة الخارجية، طورت الدول الاستبدادية مثل الصين أنظمة مساءلة داخلية شاملة. ويمكن أن يؤدي كلا المسارين إلى التنمية، ولكن يبدو أن المسار الأول هو الأكثر كفاءة ومرغوبا فيه لأسباب أخرى عديدة، مثل حماية حقوق الإنسان. ويستنتج ديركون أنه ينبغي على الدول المتقدمة أن تحاول بذل المزيد من الجهود لجعل التنمية تحدث بالمعنى العملي بمزيد من التواضع؛ فوصفات ولوائح التطوير مفيدة ولكنها غير كافية عند إعداد الطبقة.

هذا الكتاب، مليء بالرؤى والحكايات ويعد من أهم الكتب حول التنمية الدولية. لطالما طرح السؤال في الأوساط العلمية، لماذا هناك تباين مستمر في نتائج التنمية في جميع أنحاء العالم؟ كان التركيز يتمحور حول السياسات والقوانين، ولكن هذا الكتاب الثاقب يقترح أن نركز بدلا من ذلك على الصفقات الضمنية بين النخب السياسية وريادة الأعمال؛ فرسالة ديركون هي واقعية حيث لا يوجد حل سحري للتنمية، ولكن أي نجاح يجب أن يستند إلى أساس صفقة بين النخب، التي تلتزم بالتنمية وترغب في التعلم. حاز الكتاب على إعجاب النقاد وصنف في قائمة الفايينشال تايمز لهذا العام.

اسم الكتاب: المقامرة على التنمية: لماذا تفوز

بعض البلدان وتخسر بلدان أخرى

المؤلف: ستيفان ديركون

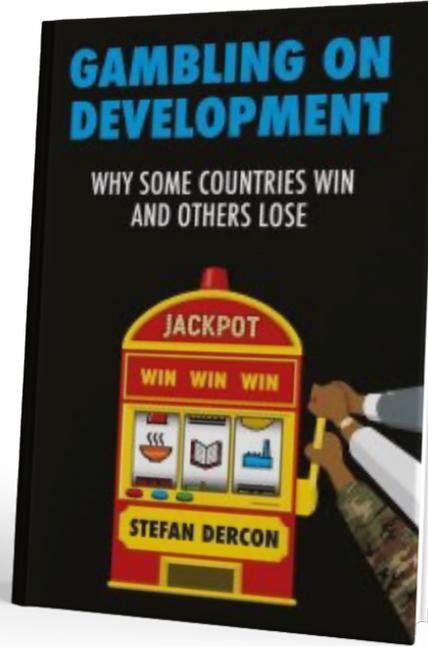
الناشر: Hurst

سنة النشر: 2022

عدد الصفحات: 360

اللغة: الإنجليزية

* كاتب عماني

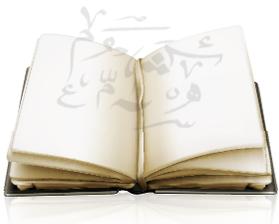


يختتم ديركون في كتابه أن صفقة التنمية لا تتكون ببساطة من أهداف أو غايات إنمائية محددة، بل إنها أكثر من ذلك بكثير. وعلى الرغم من الصورة القاتمة التي يرسمها الكتاب لتجربة بعض البلدان، إلا أن ديركون ما زال متفائلا تجاهها. فقد تحسنت العديد من البلدان بشكل كبير والتي بدت وكأنها مهمشة قبل بضعة عقود فقط، وحتى وإن لم تصل بعد إلى مستويات المعيشة التي يستحقها الناس؛ فحياة العديد من الناس أفضل الآن مما كنا نعتقد أنهم سيكونون عليه. ومن الأفضل للقادة السياسيين والاقتصاديين والمثقفين والمواطنين أن يتعلموا الدروس من هذه النجاحات وأن يجروا على المقامرة بالتنمية.

كما يشدد المؤلف على ضرورة الاعتراف بالحوافز الرئيسية للنخب للتعاون من أجل بناء استراتيجية أكثر فعالية للمساعدة الإنمائية. وتشمل هذه الحوافز في حاجة النخب إلى الشرعية داخل دولها، والتي يمكن الوفاء بها من خلال التنمية والاستقرار الاقتصادي وحل النزاعات. وبالإضافة إلى ذلك، يتعين على الدول المتقدمة والتي تعمل على تعزيز مستوى مساعدتها الإنمائية أن تساوم النخبة وتدعم نمو الناتج من خلال تحسين التوزيع والذي بدوره سيسهم في التعامل مع عدم المساواة القائم داخل العالم النامي. إن الحد من عدم المساواة

إن مفهوم صفقة التنمية ليست مجرد إعادة صياغة للقوانين، أو التفاهات التي تقيد السلوك الاقتصادي أو السياسي أو اختزالها بوجود مؤسسات قوية؛ حيث يوضح ديركون أن العديد من قصص النجاح الموصوفة في الكتاب لا تمتلك بالضرورة مؤسسات قوية في وقت الإقلاع. حققت العديد من الدول أهدافها الإنمائية، وتمثلت في الاستثمار في البنية التحتية وفي الصحة والتعليم، وأدارت مواردها الطبيعية بحكمة، ووفرت بيئة استثمارية معقولة لنمو القطاع الخاص، وغيرها من الإصلاحات. يتطرق الكاتب للنموذج الصيني، فعلى الرغم من حجم تاريخ الصين الممتد على مدى ألفي عام كدولة مركزية، ومع آلياتها البيروقراطية المجهزة جيدا والضرائب المركزية، إلا أنها حققت طفرتها في الثمانينيات فصاعدا فقط. وبالنظر بشكل أدق للصين، بعد العصرين القومي والماوي في نصف القرن السابق، بالكاد كانت لديها مؤسسات قوية لتحقيق ذلك النوع من الطفرة الاقتصادية الذي حققته بعد عام 1979م. ولا ريب أن تتمتع النخبة السياسية والاقتصادية بسلطة أكبر بكثير مما يسمح به عادة النهج التاريخي للمؤسسات. فخلال هذه الفترة، راهنت النخب على شرعيتها السياسية كدولة حزب واحد على توفير ظروف معيشية أفضل لمواطنيها من خلال النمو والتنمية. هذا الرهان كان من الممكن أن يأتي بنتائج عكسية، سواء اقتصاديا أو سياسيا.

ويستنتج الكاتب أن صفقة التنمية ليست سوى صفقة نخوية مستقرة نحو الوصول إلى موارد الدولة وتوزيعها بهدف السعي إلى تحقيق النمو والتنمية. ولكن كيفية الحصول على هذا الإجماع، أو هذه الصفقة، أو كيفية استدامتها تتجلى في أشكال مختلفة من بلد إلى آخر ومن فترة إلى أخرى. ويؤكد ديركون أن الشيء الوحيد الظاهر هو عندما يتحرك أولئك في النخبة السياسية والاقتصادية نحو النمو والتنمية في الأمد الأبعد، فإنهم يراهنون على صفقة قد لا تؤتي ثمارها، وتميل إلى المقامرة بأن ضبط النفس وانخفاض المكاسب في الأمد القريب قد يؤتي ثماره في وقت لاحق، ومن المحتمل أن تتأثر المصالح الخاصة.



إعادة بناء نظام التجارة العالمي

أندرو بستويكل

عبدالرحمن الغافري *

من المعترف به على نطاق واسع أن النظام التجاري العالمي في مأزق. كانت هناك دعوات في الاجتماعات الدولية لإصلاح «الجزر والفرع» لنظام التجارة العالمي. قواعد التجارة الحالية «فشلت في منع انتشار الحمائية، بما في ذلك الإعانات غير العادلة، وهياكل سوق الاحتكار القليل، والقدرات الزائدة، وقيود التصدير».

الأوقات تأثير سلبي على البلدان النامية. في حين أن هذا قد يعكس علما غير متكافئ، لا تزال هناك مخاوف من أن آثار منظمة التجارة العالمية بحاجة إلى التخفيف لمنع استمرار عدم المساواة في الفرص بين البلدان.

في ظل هذه الخلفية يقدم بستويكل حجة نادرا ما تُسمع في الجدل حول منظمة التجارة العالمية والتجارة الدولية: يجب تفكيك النظام وإعادة بنائه بالكامل. على الرغم من الجوانب العملية لهذا الاقتراح، فإن طرح السؤال حول كيفية تصميم منظمة التجارة العالمية من الصفر يثير نقاشا مثيرا للاهتمام حول الغرض من منظمة التجارة العالمية ووظيفتها، كمؤسسة قائمة بذاتها، وفي سياق الاقتصاد العالمي.

مفتاح حجة بستويكل هو فرضية أن عدم المساواة في نظام التجارة الدولية بين البلدان في مراحل مختلفة من التنمية، كان موجودا منذ مفهوم النظام التجاري الحالي. لذلك، يبدأ بستويكل بتحليل الشكل الحالي لحوكمة التجارة، ويسأل عن سبب استمرارها. يقدم تاريخا مؤسسيا لمنظمة التجارة العالمية، يوضح كيف تمت صياغة اتفاقية الجات كأداة تجارية، ولم تعكس فقط المتطلبات التجارية لمهندسيها الرئيسي، الولايات المتحدة، بل تم وضعها لتلائم الأساليب التجارية الحالية، والأطر القانونية، وأنماط التفاوض والأفكار الاقتصادية، وبالتالي تعكس التأثيرات الفكرية والتجارية للولايات المتحدة.

كما يوضح كيف تم استخدام التكتيكات طوال تاريخ منظمة التجارة العالمية؛ لمنع البلدان النامية بشكل مباشر، أو غير مباشر من المنافسة في السوق العالمية، أو المشاركة الكاملة في عملية التفاوض. لتوضيح كيفية إنتاج النتائج غير المتكافئة بشكل أكبر، يجادل بستويكل في الفصل الثاني، بأن المبدأ الأساسي والتكويني لنظام التجارة العالمي هو المنافسة، ويفترض أن الصفقات غير المتكافئة قد نشأت لأن التفاوض التنافسي بين غير المتكافئين أصبح مثبتا في آلية حوكمة التجارة. وعلى وجه الخصوص، فإنه يُسلط الضوء بجدارة على الوضع غير المتكافئ في الوزن الاقتصادي، والقدرة التفاوضية للدول، والذي يتجلى في حجم وقيمة التجارة

امتثال من الجميع. يحتاج كلا الجانبين إلى الإصلاح، لكن الجانب الثاني يساعد ويعارض إصلاح الجانب الأول. يختلف الامتثال للقواعد المحلية عما هو ممكن دوليا. ففي عالم من الدول القومية حيث تُحترم السيادة على الحدود، لا تستطيع الدول إجبار الآخرين أو التدخل فيما يجب عليهم فعله؛ لأنه سيتصرفون حسب مصلحتهم الذاتية. لكن الحكومات لا تستطيع اتخاذ قرارات في المصلحة الوطنية، إذا لم يتم قياسها. هذه المهمة تحتاج إلى خبرة. وبالنظر إلى القيود المفروضة على احترام السيادة، فإنها تكون ذات مغزى فقط من خلال عملية شفافية محلية مناسبة. إن القيام بذلك يجعل من الواضح أن المكاسب من إزالة الحواجز أمام التجارة، تعود في المقام الأول إلى قيام الدولة بإزالة حواجزها. إنه أفضل ترياق للمركبات السام «الصادرات الجيدة، والواردات السيئة».

إن الجدال المتكرر حول نظام قائم على قواعد منظمة التجارة العالمية، كما تفعل مجموعة العشرين، هو مجرد كلمات جوفاء دون الدعوة إلى طريقة فعالة لضمان الامتثال. الصراعات والانتقام من حواجز التجارة من قبل الآخرين ليس عمليا؛ لأن الأمة تؤدي نفسها في المقام الأول عندما تقيد التجارة - إنها «تطلق النار على نفسها».

على الرغم من أن عملية الشفافية المحلية المناسبة ضرورية؛ لتحديد ما هو في المصلحة الوطنية، الذي يقبله الناس، إلا أنه نادر الحدوث. ولكن عندما يتم القيام به بشكل صحيح، فإنه يغير أيضا سياسات الحماية بعدة طرق. أولا، من خلال إعلام وتثقيف الحكومات والجمهور حول السياسة الجيدة. بعد ذلك، تفضح المصالح الراسخة الضيقة، ويضعف نفوذها. ثالثا، من خلال المساعدة في بناء تحالفات للإصلاح من خلال تحديد أولئك الذين يتحملون عبء الحماية. رابعا، من خلال خلق بيئة سياسية أكثر قابلية للتنبؤ، وتشجيع الاستثمار. وأخيرا، من خلال خلق بيئة موثوقة وفعالة لقواعد أفضل تتطور مع تغير الأشياء لا محالة.

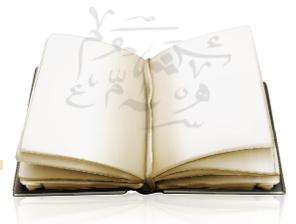
إذا، ما هو الخطأ في منظمة التجارة العالمية وكيفية إصلاحها؟ تعرضت منظمة التجارة العالمية لانتقادات لفرضها نظام تجارة عالمي غير متكافئ، كان له في معظم

ثلاث وظائف لمنظمة التجارة العالمية - التفاوض ورصد السياسات التجارية وتسوية النزاعات - إما لا تعمل أو تعمل بشكل جيد. كان زوال نظام منظمة التجارة العالمية متوقعا، بعد فترة وجيزة من الفشل في إطلاق جولة من المحادثات التجارية المتعددة الأطراف في اجتماع وزراء التجارة عام 1999. أما جولة الدوحة للمحادثات التجارية فقد بدأت أخيرا، ولم تصل إلى شيء. لقد كان العطب في النظام هناك لبعض الوقت.

على الرغم من أن المشاكل في نظام منظمة التجارة العالمية موضع تقدير، والحلول ليست كذلك. ويظهر عدم وجود العلاجات بسبب الغياب الملحوظ للعديد من الحلول المحتملة. الخطوات التي يجب القيام بها، هو التحسين المادي لأداء نظام منظمة التجارة العالمية. السبب يكمن في عدم تقدير الأسباب الجذرية وراء زوال نظام تجاري متعدد الأطراف. لفهم سبب ظهور هذه المشاكل، وما نحتاج إليه للإصلاح؛ نحن بحاجة إلى فهم أفضل للأساسيات الدولية للتجارة.

ينبغي أن تكون قواعد التجارة لمنظمة التجارة العالمية أكثر وضوحا، وتماسكا، والنظام الفعّال للالتزام بهذه القواعد ينبغي أن يجعل التجارة أكثر سهولة، ويمكن التنبؤ بها، وأقل عرضة للتدخل السياسي. سيكون العالم أفضل حالا. هذا هو السبب في أن إصلاح نظام منظمة التجارة العالمية أمر ضروري. في حين أن الحاجة إلى الإصلاح معترف بها على نطاق واسع، لا يوجد اتفاق يذكر حول ما يجب القيام به من عدمه؛ لعدم التركيز على سبب حاجتنا إلى منظمة التجارة العالمية في المقام الأول، وما يمكن أن تحققه بشكل واقعي.

في المقابل يتحدث أندرو بستويكل عن إعادة بناء نظام التجارة العالمي، ويعود إلى الأساسيات. ومنها (اقتصاد السوق)، وهو النظام الوحيد القادر على خلق الفرص فيما يحتاج إليه الناس، لكن الأسواق بحاجة إلى القواعد المناسبة للعمل بكفاءة، والتعامل مع الآثار الخارجية، سواء كانت هذه الأسواق محلية أو دولية؛ فليس هنالك جدوى من وجود المجموعة الصحيحة من قواعد التجارة، ما لم يكن هناك



التطبيق. أولاً، اعتماد هدف بسيط مشترك لنظام منظمة التجارة العالمية. ثانياً، اعتماد وتطبيق مجموعة المبادئ لتحقيق هدف المنظمة. ثالثاً، إنشاء مؤسسة الشفافية المحلية في كل رأس مالي محلي لتقييم المصلحة الذاتية الوطنية من السياسات التجارية (إبعاد المصلحة الشخصية). رابعاً، وقف زحف المهمة الشخصية. خامساً، تعدد جميع اتفاقيات التجارة التفضيلية. سادساً، لا يسمح إلا بالإعانات التي تعالج إخفاقات السوق، والعوامل الخارجية. سابعاً، تقييم مكافحة الإغراق السوقي من حيث التكلفة وأساس الفائدة. ثامناً، إعادة تقييم المعاملة التفاضلية لـ الدول النامية. تاسعاً، تقييم أفضل وترتيب لقواعد اقتصاد رقمي عالمي. عاشراً، إعادة تقييم الملكية الفكرية حول العالم. الحادي عشر، إعادة تصميم نظام تسوية النزاعات. الثاني عشر، لا يسمح بالاتفاقات متعددة الأطراف، إلا إذا كانت هي كذلك مفتوح للجميع في مرحلة لاحقة.

في الختام، يقدم بستويكل حجة قوية تدعم دعوته لإعادة التفكير في غرض، ووظيفة منظمة التجارة العالمية. الكتاب مكتوب بشكل جيد، ويمكن الوصول إليه، وقد تم تقديم حجة بستويكل بشكل مقنع، لا سيما في النصف الأول من كتابه. ويقدم اقتراحات أكثر راديكالية - وبالتالي أقل عملية - للإصلاح. ومع ذلك، فهي على الأقل دعوة مثيرة للتفكير للمناقشة مع ظهور موضوعين مهمين: أولاً، حاجة منظمة التجارة العالمية إلى التعامل مع النتائج الاجتماعية على أنها مصدر قلق من الدرجة الأولى، وليس نتيجة من الدرجة الثانية لانفتاح السوق؛ ثانياً، اقتراح أن المنافسة لا ينبغي أن تكون الآلية الرئيسية للحكومة. بالنظر إلى المقدمات الحالية لاتفاقية الجات واتفاق مراكش (المذكورة أعلاه)، يمكن تحقيقه من داخل نظام منظمة التجارة العالمية الحالي؛ مما يوفر عملياً إمكانية حقيقية للتغيير. في هذا الصدد، يمكن أن يكون لهيئة تسوية المنازعات التابعة لمنظمة التجارة العالمية - التي لم يذكرها بستويكل حقاً - دور مهم تلعبه. ومع ذلك، تظل الأسئلة قائمة: ما هي البدائل الحقيقية لنظام تنافسي؟ وهل يمكن أن يكون صحيحاً حقاً أن منظمة التجارة العالمية هي المؤسسة الوحيدة التي تتمتع بالمنافسة باعتبار آليتها الرئيسية للحكومة، بينما تواجه جميع المؤسسات الدولية في الواقع مشكلة تنافس مطالب ومتطلبات وسياسات وتوقعات البلدان؟

الكتاب: إعادة بناء نظام التجارة العالمي

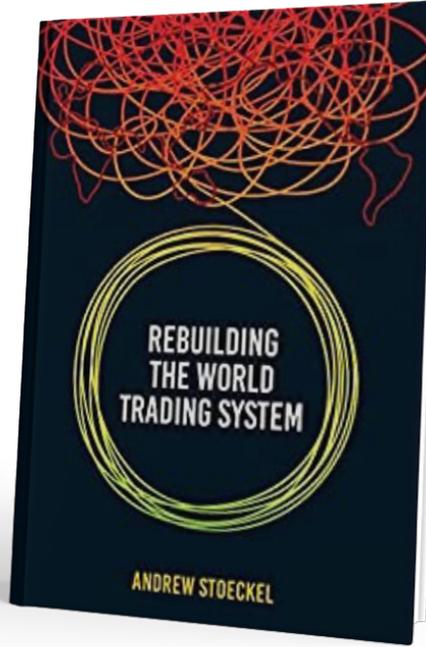
المؤلف: أندرو بستويكل

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 100 صفحة

دار النشر: Stoeckel Group Pty Ltd

* كاتب عُمانى



(وهو ما قد يكون مؤشراً على تحول التركيز نحو الإنصاف). ومع ذلك، فإن مقترحات بستويكل تذهب إلى أبعد من إعادة كتابة أهداف، وغايات منظمة التجارة العالمية، وتظهر ثلاثة موضوعات أخرى مهمة: حكم أكبر، أو حتى دور حكومي لمنظمة التجارة العالمية، «يتحرك بعيداً عن الدول» ويركز على الجغرافيا؛ بما يعني وسيلة للحكم على منظمة التجارة العالمية على قدرتها على توليد فرص تعزيز الرفاهية (على الرغم من أنه ليس من الواضح ما هي المؤشرات التي يمكن الحكم عليها على أساسها)؛ وزيادة التماسك بين الهيئات الدولية بشكل عام (بما في ذلك انعكاس شامل للنظام الاقتصادي الدولي).

أثناء إثارة نقاش مثير للاهتمام، تطرح مقترحات بستويكل أسئلة عملية جادة. يتم تناول بعضها بإيجاز في الفصل السادس، حيث خرائط طريق بستويكل حول كيفية المضي قدماً في إصلاح منظمة التجارة العالمية، بما في ذلك: أولاً، من خلال مؤتمر لإعادة توجيه تصميم وهدف منظمة التجارة العالمية. وثانياً، باستخدام آلية التفاوض لمناقشة القضايا الموضوعية الصغيرة (كأمثلة قليلة): إنشاء صندوق المعونة من أجل التجارة؛ ورفع مستوى القدرة التقنية للأمانة؛ وخلق بيئة «تمكين» أكثر لأقل البلدان نمواً). على الرغم من أن الجوانب العملية لهذه المقترحات لم يتم الإسهاب فيها، إلا أن بستويكل يختتم موضوعين مهمين يعترفان بالصعوبات الأساسية التي تعترض تحقيق أفكاره، وأي تغيير يحتاج إلى دعم كبير من أعضاء منظمة التجارة العالمية؛ وقائد قوي. ويذكر الكاتب طرق إصلاح منظمة التجارة العالمية. الترتيبات المؤسسية التي تحكم نظام التجارة العالمي، تحتاج إلى إعادة التشكيل، كما أن مجموعة السبع محقة في الدعوة إلى إصلاح «الجدور والفرع» والقيام باثنتي عشرة خطوة لإنجاح الإصلاح واعتماد المبادئ لتحقيق الهدف، بعدها يبدأ

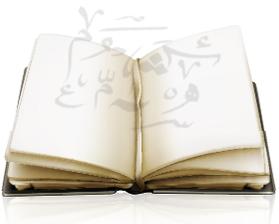
التي تتمتع بها كل دولة، فضلاً عن جودة وحجم تمثيلها في منظمة التجارة العالمية.

ووفقاً لبستويكل، فإن النتيجة الطبيعية للمساومة على غير المتكافئين، هي نوع من السياسة يحكمها الخلاف والدراما المتزايدة. تؤدي هذه النقطة إلى الفصل الثالث، وهو فصل غير عادي يناقش قوة وتأثير اللغة. يجادل بستويكل بأن اللغة المستخدمة لمناقشة التجارة، تمنع النقاش التقدمي حول منظمة التجارة العالمية، ونتيجة لذلك، فإن القصص حول منظمة التجارة العالمية ليست حسابات موضوعية، ولكنها تغلف غرضاً سياسياً.

يستعرض الجزء الثاني من الكتاب الحلول الممكنة. ومقترحات إصلاح منظمة التجارة العالمية ليست جديدة، ولكن في الفصل الرابع، ينتقد ويلكينسون المقترحات السابقة لفشلها في التشكيك في المبادئ الأساسية للنظام. وهو يعتقد أن التفكير «داخل الصندوق» يديم المشاكل من خلال التعقيم على إمكانية تحقيق منظمة التجارة العالمية لنتائج عادلة للجميع، والفشل في معالجة حوكمة التجارة، من خلال الصفقات المبرمة بين غير المتكافئين.

في الفصل الخامس، ينتقد بستويكل أولئك الذين يقدمون دور منظمة التجارة العالمية على أنه تكنوقراطي بحت، ويدعو إلى إعادة توجيه منظمة التجارة العالمية مع «تحقيق السلع الاجتماعية العالمية كأولوية والتحرير والتنظيم التجاري كآلية». بالنسبة إلى بستويكل، فإن مفتاح إعادة تصور منظمة التجارة العالمية هو إعلان جديد لأهداف منظمة التجارة العالمية وأهدافها التي تضع تحقيق التنمية التي تقودها التجارة للجميع بطريقة مستدامة بيئياً في طليعة أهداف منظمة التجارة العالمية متعددة الأطراف. نظام التداول، مع التركيز بشكل خاص على مساعدة الأقل قدرة.

بالنسبة لهذا المرجع، فإنه يقترح بأن منظمة التجارة العالمية بحاجة إلى إعلان جديد للأهداف، فالمساعي قد فشلت في الاعتراف بالأهداف الحالية المحددة في مقدمات اتفاقية مراكش والجات. وبموجب المادة ٣١ من اتفاقية فيينا، يمكن استخدام هاتين الديباجتين، كإطار لتفسير قواعد منظمة التجارة العالمية. من الواضح في هذه الديباجة أن الدخول في «ترتيبات متبادلة ومفيدة للطرفين» و«إلغاء المعاملة التمييزية في التجارة الدولية» (المعاملة بالمثل وشروط الدولة الأولى بالرعاية والمعاملة الوطنية)، هي في الواقع مجرد منهجيات مقدمة لتحقيق أوسع لمنظمة التجارة العالمية واتفاقية الجات. وتشمل هذه الأهداف في الجات رفع مستويات المعيشة، وضمان العمالة الكاملة، بينما يذهب اتفاق مراكش إلى أبعد من ذلك، مؤكداً على أهمية التنمية المستدامة (التي تشمل تقليدياً الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والبيئية)؛ الحاجة إلى حماية البيئة والحفاظ عليها؛ وأخيراً الحاجة إلى الاعتراف بالمستويات المختلفة للتنمية الاقتصادية وما يقابلها من احتياجات ومخاوف



ما بعد العلمانية كبه أشرف

فيلابوراتو عبد الكبير *

إن «ما بعد العلمانية» فكرة جديدة بالخراط الفكرية لا تزال في طورها الابتدائي، وتعود بدايتها التأسيسية إلى ندوات بحثية انعقدت في العقد الأول من عام 2000. وفي عام 2009 انعقد مؤتمر في جامعة هارفرد تحت عنوان «استكشاف «المابعد علماني»، وبعد سنة واحدة في 2010 انعقد مؤتمر آخر في كلية العلوم الدينية في جامعة واشنطن سانت لويس تحت عنوان «النقاش حول العلمانية في عالم ما بعد علماني» شارك فيه عدد من المفكرين، وفي مقدمتهم الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس ورفيقه الكندي تشارلز تايلور والعالم الأمريكي بيتر بيرغر والعالم الأنثروبولوجي من أصل أسباني خوسيه كازنوف، حيث أبدوا فكرة انفتاحية على الدين والقضايا المتعلقة بها مشيرين إلى أن الدور العلماني في المجتمع وهيمته على جميع مناحي الحياة قد أصبح على وشك الأفول. ويرون أن العلمانية ليست الحل الأمثل للمشكلات والأزمات التي يواجهها العالم الغربي. وتلت المؤتمرات المذكورة ندوة رابعة انعقدت في جامعة بولونيا بعنوان «السياسة والثقافة في المجتمع المابعد علماني».

فهي موجودة في كل المجتمعات طوال القرون، لأنها تقوم على تمايز بين الديني والسياسي بدون معاداة للدين. ومن الانتقادات التي تعرضت لها العلمانية أنها قد تحولت إلى أيديولوجيا تلهم الدولة والمجتمع أو ديانة أخرى كما وصفها صباح أحمد عالمة الأنثروبولوجيا الشهيرة وتلميذة طلال أسد (ابن محمد أسد النمساوي صاحب «الطريق إلى مكة»). تحولت العلمنة إلى سلطة لاهوتية قهرية تصدر أحكامها بلا هوادة، فلم تستطيع أن تبقى راسخة الجذور أمام النقد اللاذع الذي زعزع يقينها بعدما زرع الشك في كل شيء. وعلى خلفية هذه الأزمات البنيوية للعلمنة نفسها انطلق مفهوم «مابعد العلمانية» الجديد.

إن كتاب «مابعد العلمانية» للباحث كبه أشرف هو باكورة أعمال في هذا الموضوع بالغة المالايلامية. يتناول فيه المؤلف المسار الخطي الذي تتصوره العلمانية الحديثة، وحدود مفهوم العلمانية، والظواهر الاجتماعية والسياسية التي برزت متحدياً ذلك التصور الخطي، والانتقادات التي تعرضت لها العلمانية فيما بعد، والشرائح المتنوعة لهذه الانتقادات التي تطورت تحت ظروف مختلفة. إنما يحاول فيه أن يفضح مسألة علاقات السلطة بين الدين والعلمانية أكثر من أن يثبت أن أحدهما أفضل من الآخر. يبحث من خلاله عن ظروف يتمكن فيها من الترابط بين الثنائيات مثل الدين والعلمانية دون أن تسيطر إحداها على الأخرى بل أن تكون متكاملة بعضها مع بعض. الحركات الاجتماعية والأحزاب السياسية التقليدية في كيرالا تنظر عموماً إلى العلمانية كبقرة مقدسة. قلماً نجد من ينظر فيها بعين النقد. بل لا يعرف أكثرهم ما يجري من دراسات نقدية في هذا المجال في محافل المعرفة على المستوى الدولي. وهذا يزيد أهمية هذه الدراسة. يقول المؤلف إن هذا الكتاب إنما تشكّل لتجاوز هذه القيود الموجودة في كيرالا في نقد العلمانية ولتعريف ما يجري في المحافل الأكاديمية العالمية من الدراسات الجادة التي تعيد النظر من

الضروريات الخمس من مقاصد الشريعة من المحافظة على الدين والحياة والعقل والعرض والمال هي نفس المصالح العامة التي تستهدفها العلمانية. الإسلام في نظر حنفي ديني علماني في جوهره في أن واحد فلا يحتاج إلى علمانية زائدة مستمدة من حضارة أخرى. وأما حماية الأقليات فإن الأقليات الدينية المختلفة قد عاشوا قروناً في أمن وسلام تحت كنف الإسلام. وأما المفكر المغربي محمد عبد الجابري فيعتبر مسألة العلمانية في العالم العربي مزيفة حيث لا تتطابق مع حاجات الديمقراطية التي تحترم الحقوق الإنسانية التي هي روح العلمانية الغربية، ويذهب إلى أن العلمانية نشأت في الغرب من أجل فصل الدولة عن الكهنوت المسيحي، وهي تجربة لم يعيشها العالم الإسلامي، وبالتالي لا حاجة له بالعلمانية. وفي رأي المفكر الفرائدي محمد أركون فإن العلمانية لا يمكن اختزالها في عملية الفصل بين الديني والسياسي، فهي أبعد وأعمق من ذلك؛ لأنها ترتبط بالبحث عن الحقيقة، مما يجعلها نظرية في المعرفة تنازل من أجل امتلاك الحقيقة، وهي بالتالي مسألة تخص المعرفة. ولكنه يرفض تحويلها إلى أيديولوجيا تحد من حرية التفكير كما في صيغتها اللاتينية الفرنسية. ومن الذين اتخذوا العلمانية نظرية فلسفية عادل ضاهر. وهو يُفرّق بين العلمانية اللينة والعلمانية الصلبة. ووفقاً لهذه الرؤية يكون الإنسان إما متديناً أو علمانياً، ولا وجود لنمط ثالث يجمع بين الاثنين. مثل عادل ضاهر تماماً يُقسّم الراحل عبد الوهاب المسيري أيضاً العلمانية إلى قسمين، علمانية جزئية وعلمانية شاملة، وأولاهما تعني فصل الدين عن الدولة بينما لا تعني العلمانية الشاملة فصل الدين عن الدولة فحسب، بل تتجاوز ذلك بفصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية، لا عن الدولة فقط، بل عن الطبيعة وعن حياة الإنسان أيضاً. وهذه العلمانية الشاملة تختص في نظر المسيري بالمجتمعات الغربية وغير قابلة للتطبيق على المجتمعات الإسلامية. أما العلمانية الجزئية في رأيه

وقبل استعراض مضمون كتاب الدكتور أشرف يبدو أن من المستحسن إلقاء نظرة سريعة على خلفية نشوء الفكرة العلمانية في الغرب. العلمانية مصطلح لا يزال يلعب دوراً هاماً في بناء المجتمع الحديث بقبضة سلطوية قوية على حياة الأشخاص. وهي تُعدّ من أبرز مكونات الحضارة الغربية يرفض أساسها جميع ما يعتبر من المقدسات الدينية. تأبى العلمانية تداخل الأديان في المجالات الاجتماعية والسياسية الرئيسية في حياة الإنسان. يزعم العلمانيون أن عملية تحويل الديانة المسيحية إلى مجرد ممارسات دينية بلا دخل لها في المبادئ الاجتماعية هو انتصار العلمانية وأنه بهذا السبب فقط أحرزت أوروبا التقدم والازدهار في جميع حقول الحياة. هذا هو جوهر العلمانية الذي يتمحور حوله الإنسان والذي ينكر دور التعليمات الدينية في حياته بتاتا. ولكن بالرغم من ذلك هناك من يزعم أن العلمانية ليست نظرية ذات طابع أحادي بل هناك علمانيات مختلفة. اللاتينية الفرنسية التي تمنع التظاهر الديني ليس في الدوائر الحكومية فقط بل في المشهد العام أيضاً تختلف عن العلمانية الأمريكية التي تسمح بالحجاب أو بالخمار في الحياة العامة.

ثمة للعلمانية قراءات متنوعة في العالم العربي. ومن نخبة العرب من قرأها قراءة تاريخية مثل المفكر المصري الراحل حسن حنفي الذي يرى أنها فكرة غربية نشأت للبحث عن الحل لمشاكل غربية مُلحّة ناتجة من صميم التاريخ الأوربي المسيحي. يقول حنفي إن العلمانية إنما تم تصديرها إلى العالم العربي من بوابة المسيحيين الشرقيين مثل سلامة موسى، وفرح أنطون، وشبلي شميل وغيرهم بهدف فصل الدين عن الدولة، وذلك لأغراض تتعلق بحماية الأقليات. وتسلل العلمانية إلى البلدان العربية المكتظة بالأغلبية المسلمة قد أدى إلى صراع بين العلمانية والشريعة الإسلامية. فكيف يمكن تحقيق العلمانية وتطبيق الشريعة في آن واحد؟ يجد حنفي الحل لهذه المشكلة في أن تحقيق



المسيحيين طوماس أكويناس والقديس أغسطينوس في العصور الوسطى. جيحك الذي يهتم بالماركسية والتحليل النفسي يجد في المسيحية أساساً للإلحاد ويؤكد أن هذا هو الطريق الوحيد لحل المشاكل والتحرر من الأزمات. والفصل السادس يحتوي ثلاثة أجزاء مرتكزا البحث على دراسة العلمانية من خلال منظور «ديكولوني». نقرأ هنا مناقشات «ولتار مينيلو» و«أنيبال كويانو» و«أنتاكيه ديوسال» و«سيلفيانا فينتار» و«فرانز فانون» و«طوماس ماستناك» و«سوفيا أرجانا» من أبرز المساهمين في مجال الدراسات الديكولونية. حين نمر على قراءات هؤلاء الأكاديميين في العلمانية نستطيع أن نرى كيف أن دراساتهم التفكيكية تفتح أفقا جديدة من النقاشات في شأن الإسلام والمسيحية وكيف أن مقارنة هذه القراءات مع القراءات اللاتينية تقود إلى تطوّر نظرات جديدة في الدين والعلمانية تُنتجها فكرة مابعد العلمانية.

الفصل السابع ينقسم إلى خمسة أجزاء. الجزء الأول يبحث الخلاقات التي كانت موجودة في تعريف الدين في العالم القديم والجديد. وفي الجزء الثاني نقرأ عن ديانة «ماني» وملاحظات يوحنا الدمشقي عن الإسلام والمسيحية. والفصل الثالث يناقش فيه المؤلف القضايا المتعلقة بمفهوم الأديان العالمية. يقول هنا إن مفهوم الأديان العالمية هي ذاتها تخفي في طياتها طموحا إلى السلطة. ومن خلال قراءة هذه الأجزاء نفهم كيف أن القوى الاستعمارية استغلت الدين للدفاع عن مصالحها الذاتية. استخدمتها بريطانيا في الهند للمصالحة مع الطبقات العليا ضد الطبقات السفلى في سلم الطبقات الاجتماعية من الهندوس. والحال في الولايات المتحدة واليابان أيضا لا يختلف عنه كثيرا. ويبحث في الجزء الأخير الطريق السليم لحل المعوقات والمنغصات أمام مسار الدين كما يناقش هنا بعض المقترحات المنهجية العملية التي تقدمها فكرة مابعد العلمانية في الدراسات الدينية والعلمانية. ويؤكد المؤلف أن كتابه هذا لم يقصد به إلا أن يكون مدخلا لدراسة مابعد العلمانية ولم يُرد إصدار أي حكم في أي جانب من جوانب الموضوع ولو أن له رؤى خاصة فيه.

الكتاب: ما بعد العلمانية

المؤلف: الدكتور كيه أشرف

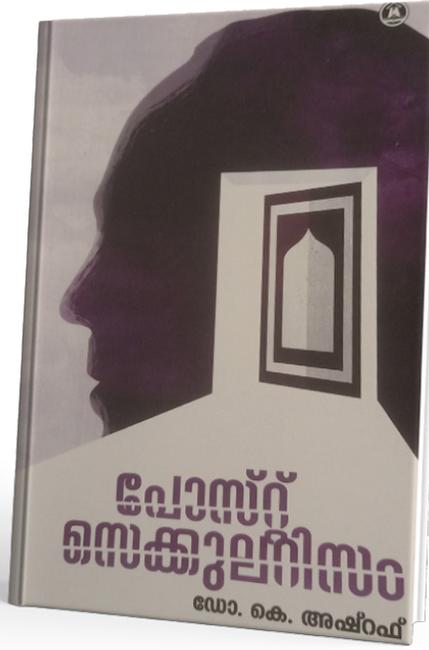
اللغة: مالايالام

عدد الصفحات: 310

سنة النشر: 2022

الناشر: دار النشر الإسلامي، كوزيكود

* مستعرب هندي



أن مادانان» و«سوميت ساركار» في مجال انتقاد العلمانية. بينما يرفض «أشيش ناندي» العلمانية بتاتا يرى ساركار أن التخطي إلى الأمام بسد نواقصها هو الأفضل. وتليه تفاصيل المواقف من العلمانية التي يتخذها ظهير بابار و«أدتيا نيجام» و«راجيف بهارغهافا» و«عقيل بلجرامي» و«وروميل تهابار» وغيرهم من النخبة الهنود. وفي الجزء الأخير من هذا الفصل تأتي ملاحظات «بارتها تشاتارجي» و«فيفيك دهاريشوفار» و«شبنم تيجاني» و«ام أس باندهيا» و«عرفان أحمد وسلمان سعيد الذين قاموا بترميم بناء نقد العلمانية من جديد بعيدين عن اتخاذ موقف يوافقها أو يخالفها.

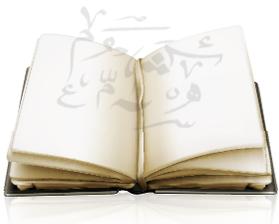
والفصل الخامس يحتوي بعض الاتجاهات الموجودة في دراسات مابعد العلمانية في الولايات المتحدة وأوروبا. ويُذكر فيه الحوار المحوري الذي جرى بين «يورغن هايبارماس» و«ويليام كورنالي»، والذي يكشف عن التنوع الموجود داخل فكر مابعد العلمانية. يستفيد الكاتب هنا لذلك من قراءة «ليوكا مافيلي» (Luca Mavelli). الحاكمة كانت دائمة مسألة مهمة في فكر مابعد العلمانية. وفي الجزء الثالث من هذا الفصل يُقدّم الكاتب الخلاصة من إعادة القراءة التي قام بها ميشيل فوكو و«كارل شميت» في هذا المجال. وفي الجزء الرابع يلقي الضوء على محاولات «سول نيومان» لقراءة جديدة سياسية لاهوتية حول التحليلات النفسية التي قام بها «سيجماند فرويد» و«جاك لاكان» في نقد العلمانية. وفي الجزء الخامس يذكر المؤلف ميزات مقاربات «سلافوي جيحك» و«تيري إغلتنون» تجاه العقيدة والدين والماركسية والمسائل اللاهوتية، وذلك خلال مشاركتهما في نقاشات جرت حول مفهوم مابعد العلمانية. فضلا عن هذا يحاول جيحك وإغلتنون إعادة قراءة مساهمات المفكرين

جديد في مفهوم العلمانية.

ينقسم الكتاب إلى سبعة فصول. وفي الفصل الأول يبحث المؤلف الظروف السياسية التي تطورت فيها دراسات مابعد العلمانية، ومنهج النقد الذي تتبناه والموضوعات التي تتناولها هذه الدراسات. إن تشارلز تايلور وطلال أسد هما مفكران بارزان درسا تاريخ وحاضر علاقات السلطة بين الدين والعلمانية بعمقهما. ويبدأ الفصل الثاني بأفكارهما في هذا المجال. ولهذا الفصل ثلاثة أجزاء: في الجزء الأول يشرح الكاتب وجهات نظر تايلور في مابعد العلمانية. لا يعدُّ تايلور العلمانية مجرد غياب للدين حيث يقول إنها مسألة فكرية سياسية يجب أن تُفهم كبناء تاريخي، وبالتالي ليس الدين والعلمانية توجهات متنافسة، بل أنواع مختلفة من الخبرة الحيوية التي تتعلق بشكل وثيق بفهم الحياة بطريقة أو بأخرى. ويبحث في الجزء الثاني بعض ميزات مناهج أسد في مقارباته نحو مابعد العلمانية. ويُعدُّ طلال أسد من أبرز الأكاديميين الذين حاولوا أن يجعلوا للإسلام مكانا في هذه المناقشات. يكتشف أسد «جينولوجيا» العلمانية في أوروبا المسيحية في العصور الوسطى. وفي الجزء الثالث يشير الكاتب إلى الفروق الموجودة في مناهج فكر تايلور وأسد. ومن خلال هذا التحليل يمكن القارئ أن يفهم الطبيعة العالمية التي تحتويها النقاشات الجارية في حقول هذه الدراسات وأن يعرف عموما تنوعها الداخلي.

وفي الجزء الثالث يقدم الكاتب أكاديميين أمثال وائل حلاق وسلمان سعيد وشيرمان جاكسون وعويمير أنجم الذين حملوا على أكتافهم مهمة تطوير فكرة أسد في إطار واسع. وهؤلاء الكتاب يبحثون عما يكون للإسلام من مكانة في عالم مابعد العلمانية. وبالمقابل ثمة مفكرون آخرون أمثال عبد الله نعيم وعقيل بلجرامي وحامد عنایت الذين ناقشوا مسائل إسلام مابعد العلمانية وأكدوا على إمكانية إسلام علماني. وينضم إلى هؤلاء الفئة العالم الاجتماعي والمؤرخ الفرنسي «جان بوبيروفيري» الذي يُفضّل أن يرى العلمانية علمانيات عديدة متنوعة بدلا من علمانية واحدة، يتناسب كل منها مع اختلاف الظروف والعوامل الاجتماعية في مجتمعاتها. وهو لا يستتني حتى إمكانية علمانية إسلامية. إن جوهر العلمانية في رأيه ليس إلا مجرد حيايد السلطة السياسية. ومن مستلزمات هذا الحيايد أن لا تمنع التعبيرات الثقافية والدينية وتمظهرها في الحياة العامة.

ونجد في الفصل الرابع قراءات جديدة جرت حول النقاشات العلمانية على مستوى الجندر والديانة والطبقات الاجتماعية، وذلك في الظروف الهندية. وتحاول هذه القراءات أن تُبرز كيف أن العلمانية استخدمت كلغة لتهديب معاداة وكرهية الأقلية المسلمة وطبقة المنبوذين والجندر. وفي الجزء الأول من هذا الفصل المنقسم إلى ثلاثة أجزاء يُعرّف المؤلف إسهامات «أشيش ناندي» و«لاتا ماني» و«تي



التفلسف في الإسلام

سليمان بشير ديانى

* التجاني بولعوالي

عندما تتأتى الإمكانيات للعقول الحرة لأن تبحث عن الحرية بشكل لا تُقَيَّر تتطور الفلسفة. والإسلام ليس استثناء في هذا الصدد؛ فقد سبق تاريخيا لمفكرين مثل ابن سينا وابن رشد والغزالي أن اشتغلوا بالمسائل الفلسفية. وقد كشفت أعمالهم عن أن الإسلام يتميز بمستوى عالٍ من الانفتاح، ويحضر ذلك بشكل مستمر في التراث العلمي والفلسفي الإسلامي. ولعل هذا جوهر المقاربة التي يقدمها الفيلسوف السينغالي الأصل، سليمان بشير ديانى في كتابه «التفلسف في الإسلام»، حيث يتأمل انفتاح الإسلام على التحديات السياسية الراهنة والمستقبلية في عالمنا المعاصر، الذي تتزايد فيه الصراعات الإيديولوجية، وتمارس فيها المجموعات الكبرى هيمنتها القيمية والثقافية والسياسية، ولا سبيل إلى الخروج من ذلك إلا بالحوار العقلاني الذي يدعو إليه الكاتب بشدة من منطلقه الفلسفي.

يقع محاورهم في الزلل وينطق بالكفر، وكل من يرغب في ذلك يقع في الفخ نفسه.

بين فلسفية اللغة العربية وإسلامية الفلسفة

تاريخيا نجح العرب في ترجمة الفلسفة والعلوم اليونانية، وكان للخليفة المأمون دور ريادي في ذلك، لا سيما من خلال مؤسسة بيت الحكمة التي شكلت منارة أكاديمية حضنت مترجمين وفلاسفة من مختلف المشارب اليهودية والنصرانية والإسلامية وغيرها. وقد أثارت ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، وهي لغة سامية، أسئلة وصعوبات مختلفة عن ترجمتها إلى اللاتينية، وهي لغة هندو-أوروبية مثل اليونانية. لهذا السبب توصل المترجمون إلى مصطلحات جديدة، لكن كان عليهم أيضا «التعسف» بين الحين والآخر في نقل أنماط التعبير المعتادة. ويؤكد الكاتب أن نقل الفلسفة اليونانية أسهم في الرقي باللغة العربية التي أصبحت بدورها لغة فلسفية، يكتب بها الفلاسفة المسلمون، كابن سينا، والفارابي، والغزالي، وابن رشد، وابن طفيل وآخرين، وأيضا الفلاسفة اليهود مثل سعدية غاون وابن ميمون.

وما يلفت النظر أن الفلسفة عندما دخلت العالم العربي احتفظت باسمها اليوناني الغربي: الفلسفة، فتم تعريبها لا ترجمتها بمعادل معنوي عربي، وصار ممارس الفلسفة يدعى فيلسوف، ويجمع على فلاسفة. ويشير هذا بوضوح إلى أن الأمر يتعلق بمجال جديد يقع خارج مجال العلوم الإسلامية أو العلوم الدينية. ويقع علم اللاهوت العقلاني على حدود تلك المنطقة، بساق واحدة وأخرى في الخارج. ترى هل يجب أن نتحدث إذن عن الفلسفة الإسلامية؟ أو بشكل أعم: هل يمكن اعتبار البحث الفلسفي مؤهلا دون تناقض باعتباره يونانيا أو هنديا أو مسيحيا أو إسلاميا؟

في مناقشته لهذا السؤال يؤكد ديانى أن «أسلمة» الفلسفة تحدث. وبمعنى آخر، فالتفكير اليوناني مستوعب، وهو ليس مترجما فحسب، بل مدمج بالفعل. ودليل ذلك حلم الخليفة المأمون، حيث كانت صورة أرسطو كرجل أشقر بعيون زرقاء

بقيت مفتوحة ومن غير تعيين أو تقنين أثناء العهد النبوي. لذلك فالخلفاء الراشدون الأربعة انتخبوا وفق أربعة إجراءات مختلفة، فالأول عن طريق الإجماع الداخلي، والثاني بالتشاور بين الصحابة الكبار، والثالث من قبل «ناخبين» عينهم سلفه، وكاد الأخير أن يُجبر على قبول منصب الخليفة في أوقات العصيان والحرب الأهلية. ويمكن أن نستخلص من هذا أن المجتمعات المسلمة لها الحرية في تصميم دولها الخاصة وتعيين ممثليهم.

إن الفلسفة تقتضي إعمال العقل، ولن يتحقق ذلك إلا في ظل الحرية. ولعل هذا ما تطرحه قصة الخلق القرآنية، حيث ملك الله الخالق الإنسان المخلوق كنزا لا يستطيع سوى أن يعبر عنه، وهو كنز الحرية. وإذا كان الخطاب القرآني يكشف عن أن الملائكة تخشى الفوضى والعنف «البشري»، فإنه ينطوي أيضا على حقيقة أنه مع الإنسان الأول، آدم (وحواء) تنشأ القدرة على قول لا، وفعل شيء آخر. وهذا يعني أن حرية الإنسان سبقت وأعلنت القدرة على التمرد، وهذا ما أدركه الشيطان، فكان رد فعله رفض أمر الله بالسجود لآدم.

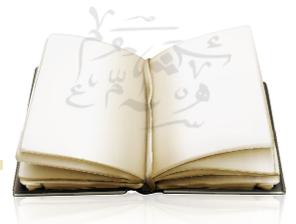
ثم يستنبط ديانى أن الدفاع عن أركان الإيمان بالعقل يعني إعادة بنائها وفقا للعقل، ومن ثم ممارسة العقلانية، على الأقل في نظر أولئك الذين يعتقدون أن الإخلاص لا يمكن إلا أن يكون تكرارا لشيء واحد. وظل الخوف من أن العقل سائدا في التفسير التقليدي، من أن العقل سيتخذ من نفسه هدفة الخاص، فيتحول إلى فن الجدل. وقد تم التعبير عن ذلك بشكل جميل في حكاية عن مؤسس أحد أكثر مذاهب الفقه تأثيرا وتوسعا في الإسلام، وهو أبو حنيفة الذي منع ابنه من الانخراط في النقاشات الكلامية، فاندحش الابن من موقف والده، الذي منعه من السير في اتجاه كان هو نفسه (أي الوالد) متفوقا فيه ويمارسه، وقد برر أبو حنيفة موقفه المعارض لخوض الجدل، بدعوى أنه عندما كانوا يناظرون، كانوا يلتزمون الصمت خوفا من أن يخطئ المحاور، لكنهم اليوم (وهو يقصد ابنه وجماعته) يناظرون وهم يتمنون أن

وقد اقتضى الاشتغال بموضوع الفلسفة أو التفلسف في الإسلام أن يصوغ المؤلف مقدمة للفلسفة في العالم الإسلامي من خلال عدد من الموضوعات والشخصيات. وهذا يعني البحث عن العلاقة مع تراث غني من الدراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية، حيث يشكل «تاريخ الفلسفة الإسلامية» العنوان المركزي الذي تحمله العديد من الأعمال الاستقصائية الشهيرة.

وقد عمد سليمان بشير ديانى إلى اختيار عينة دراسته من هذا التاريخ، أو بالأحرى اتخذ خياره هذا لتركيز الضوء على عدد من الموضوعات والأسئلة الإشكالية، وعلى المؤلفين الذين تعاملوا معها. وتحدد هذه الأسئلة في: لماذا يحتاج الدين الإسلامي إلى الفلسفة؟ هل المنطق عالمي أم أن لكل لغة منطقها الخاص؟ ومن خضم هذا السؤال الأخير تتفرع أسئلة متنوعة: ما هي اللغة الفلسفية وكيف تصبح اللغة فلسفية؟ ماذا يعني تفسير قصة دينية فلسفيا؟ هل يمكن أن تتعايش العقيدة الدينية مع العقلانية الفلسفية؟ كيف يجب أن يفهم موقف الإنسان ومسؤوليته تجاه الطبيعة؟ ما هي الفلسفة الإيكولوجية الموجودة في الإسلام؟ هل يتطلب الدين نوعا معينا من الدولة أم هل يستطيع المسلمون وينبغي لهم، في سياق الحداثة، التفكير في المؤسسات السياسية التي تسمح لهم بالعيش بحرية في مجتمعات مفتوحة وديمقراطية؟ وفي الأخير هل يحتوي الدين على إمكانية التعددية؟

النص القرآني والحث على التفلسف

يكفي أن نلقي نظرة على النص القرآني لنندرك أن عددا من الآيات تهدف إلى استرعاء انتباه أولئك القادرين على التفكير. ثم إنه في غضون الخلافات السياسية المبكرة حول مسألة الخلافة بعد وفاة النبي محمد وحوال من له الحق في التكلم باسم الله، كان لابد من التفكير في مثل هذه الأسئلة بطريقة فلسفية. لذلك يشدد الكاتب على أنه يجب أن نستمر في هذا التفكير في عصرنا الحالي وفي التعاطي مع مشاكلنا المعاصرة، أخذا بأن مسألة الحكم، أو بالأحرى من سوف يحكم



الأخرى؛ إن هذه الفرقة توجد فوق الفرق، ولا توجد إلا فعليا، تتكون من كل أولئك الذين، على الرغم من أنهم أعضاء في إحدى الفرق الثلاث والسبعين، فقد تمكنوا من الخروج من أنفسهم وخارج المفهوم المطلق والحصري للعضوية والانتماء إليها.

بعد هذا الارتحال التاريخي والحضر المعرفي في التراث الفلسفي واللاهوتي الإسلامي، ينتقل بنا الكاتب إلى أوائل الثلاثينيات، إلى مالي التي كانت ترزح تحت الحكم الاستعماري الفرنسي. وبالتحديد، مدينة باندياجارا الصغيرة، التي تأسست عام ١٧٧٠ من قبل صيادي دغون، والتي طورها ورثة الحاج عمر تال عندما جعلوها عاصمة إمبراطورية توكولور الإسلامية. وكان يعيش هناك عالم حكيم، وهو «بوكار بن صليف التل» ويسمى «تيرنو» التي تعني «السيد».

وقد سأل أحد الطلاب هذا العالم الحكيم عن التعددية الدينية، وهل من الصواب التحدث إلى أتباع الديانات الأخرى لتبادل الأفكار والتعرف على إلههم بشكل أفضل؟ ويجب الحكيم تيرنو على هذا السؤال بدرس في التسامح الصوفي، حيث الميتافيزيقا تقوم على القناعة بأن الإيمان واحد، بغض النظر عن الدين الذي يعبر عنه. ولكن هل يمكن للتعددية، التي تقوم على الاقتناع بأن الحقيقة هي نفسها، أن تتجلى في أشكال مختلفة، وتتسع لتشمل اللادين؟ وبمعنى آخر، هل يحب الله غير المؤمن؟ كما يتساءل الطالب مرة أخرى، فيرد عليه بالإيجاب «نعم»، متجاهلا كل الفروق المقدسة التي يضعها أصحاب التفكير والتفسير الحرفي. وهذه ال «نعم» الإيجابية هي بالضبط ما تعلمه الفلسفة: حكمة الحب، على حد تعبير الكاتب.

وفي الخلاصة، إن مقاربة الكاتب السينغالي الأصل سليمان بشير ديانى لا تكتفي بمناقشة مسألة التفلسف في المنظور الإسلامي التقليدي فقط، بل تستحضر أيضا الأسئلة الفلسفية الجوهرية القديمة في سياقنا المعاصر لا سيما المتعلقة بالسياسة والتدين والعقلانية والتعددية من جهة، وتفتح آفاقا جديدة على الفلسفة الإفريقية والعالمية التي يجهلها القاري العربي من جهة أخرى. ولعل هذا هو الجديد والأهم في هذا العمل النقدي الفلسفي.

الكتاب: التفلسف في الإسلام

المؤلف: سليمان بشير ديانى

عدد الصفحات: 160

تاريخ النشر: 2021

الناشر: منشورات فراي داخ أونفيرس بلجيكا

اللغة: الهولندية

* أكاديمي في جامعة لوفان في بلجيكا



بحماية المجتمع بشكل عام من الفلسفة والفلاسفة من كراهية الجماهير للعقل. وهذا ما سوف يستحضره بعد قرون طويلة المصلح النهضوي جمال الدين الأفغاني، الذي قرر عدم إعادة ترجمة رده على الفيلسوف الفرنسي رينان إلى العربية لتوزيعه في العالم الإسلامي، حتى لا تصل مجادلاته العقلانية إلى عامة الناس.

التعددية وحكمة الحب

يخلص ديانى في خاتمة كتابه حول التفلسف في الإسلام إلى أن التفكير لصالح الانفتاح هو التفكير أيضا لصالح التعددية. ولتحقيق هذه الغاية، يجب أن نعود إلى حديث الفرق الثلاث والسبعين الذي استخدمه الغزالي، في كتابه «المنقذ من الضلال» لإظهار الحاجة الملحة لاختيار الفرقة الناجية من تلك الفرق، والتي وحدها تفوز بالخلاص. ثم يتساءل الكاتب: هل كان الغزالي بعد شكوكه الوجودية والمنهجية قادرا على أن يكتشف على أسس راسخة ماهية الفرقة الناجية ويستبعد كل الفرق الأخرى؟ وهل هذا حقا كل ما كان يحاول فعله؟

بل كان يبحث أيضا عن طمأنينة القلب الذي بدأ ينفصل عن كل المعتقدات الطائفية للتخلص منها. لذلك إذا قرأنا «المنقذ من الضلال»، مثل اعترافات من يقول أنا وليس نحن، فلربما ينبغي لنا أن نستخلص أن ما كان يبحث عنه كان يوجد ما وراء الفرق الثلاث والسبعين، أو نقول إنه كان موجودا في كل فرقة منها.

وهذا يدل على أن حقيقة حديث الفرقة الناجية ليست استبعادا، بل تعددية. وبعبارة أخرى، القدرة على الوصول إلى فهم غير طائفي للحقيقة والاهتمام بالطريقة التي يتصرفون بها في كل الفرق. وهكذا يمكن القول إنه من بين الفرق الثلاث والسبعين التي يذكرها، سيتم إنقاذ الفرقة الرابعة والسبعين، وهذه الفرقة تقع خارج جميع الفرق

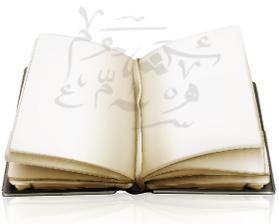
وسيلة لعقله اللاواعي ليخبره أنه غريب. لكن اللاوعي نفسه أخبره أيضا أن يحوله إلى موحد صارم، بينما يتحدث في نفس الوقت عن علاقة الوحي بالعقل ويأمره بالاعتراف بآله واحد في نهاية المحادثة الثنائية في الرؤيا. وهذه الأسلمة تحضر في مختلف الأدبيات الفلسفية الإسلامية عبر قصص لا حصر لها لسقراط وأفلاطون. ثم إنه بصرف النظر عن اللون المحلي المعطى للفكر والمفكرين اليونانيين، يمكن للمرء أن يتحدث عن الفلسفة الإسلامية، لأن القصص التأسيسية للدين الإسلامي تُقرأ وتُفهم في ضوء تعاليم أفلاطون وأرسطو وأفلوطين. وفي هذه القصص يتم توضيح معنى رحلة العقل البشري إلى الحقيقة. ومن الأمثلة الرائعة على ذلك إعادة بناء ابن سينا الفلسفي لواحد من أهم التقاليد في الإسلام، وهي قصة الإسراء والمعراج.

بين رفض الفلسفة وتبنيها

بشير ديانى إلى أنه من خلال الإفراط في التفكير يقع المرء في الكفر، كما يدعي أصحاب الموقف المنغلق. وهذا الموقف يحمل بين طياته رفضا موجها ضد الفلاسفة، الذين يهتمون بالتفسيرات العقلانية. لكن يمكن أن يستهدف هذا أيضا علماء اللاهوت التأملي من المتكلمين، وقد شكل هذا رد فعل على تجاوزات التطرف الجدلي والعقلاني، والتي يبدو أنها استبدلت العقل بالله. وقد جاءت المدرسة الأشعرية لتقلب الموازين في اتجاه هادئ من أجل موازنة العقلانية. ومن هذه المدرسة جاءت أيضا أكثر الإدانات جذرية لـ «أخطاء» الفلاسفة، والتي تضمن بعضها اتهامات واضحة بالهرطقة والزندقة. وهو يقصد في هذا الصدد أبو حامد الغزالي الذي خص له كلاما طويلا تناول فيه موقفه من الفلسفة.

وعلى العكس من ذلك، جاء ابن رشد لينصر الفلسفة بشكل حكيم ومحكم، حتى إن اسمه ظل يرمز على مر الأجيال وإلى عصرنا الحالي إلى العقلانية في الإسلام. وتجدر الإشارة هنا إلى الحروف المتقطعة التي تبدأ بها عدد من السور القرآنية، فهي تفسر على وجهين. أحدهما أن الله تعالى استأثر بعلمها وأن العقل الإنساني يعجز عن الإحاطة بسرها الرباني. والتفسير الآخر، أنه يمكن للمرء أن ينطلق من مبدأ أن هذه الكلمة تعبر عن نفسها بلغة أبناء آدم، فما الفائدة من إدخال إشارات في الرسالة الموجهة إليهم لا يستطيع أحد فهمها. لذلك ربما ينبغي أن تكون هذه العلامات بمثابة اختبار للتمييز بين أولئك الذين لديهم معرفة عميقة الجذور. ولا يمكن أن يكون هؤلاء إلا فلاسفة، كما يذهب ابن رشد.

وفي رده على الهجوم الممارس على الفلسفة باسم الدين، يقول ابن رشد أنه يوجد في الواقع انسجاما بين الاثنين: الدين والفلسفة. وقد أظهر هذا الانسجام بالدليل القاطع، ومن ثم فإن دراسة الفلسفة التزام قانوني. وكان ابن رشد أكثر ثقة ووثوقا في دحض الموقف الرفض، لا سيما الذي يمثلته الغزالي، ويخلص إلى أن دراسة الفلسفة هي في النهاية واجب ديني، على الأقل بالنسبة لأولئك الذين لديهم استعداد عقلائي للقيام بذلك. وبعبارة أخرى، إن ابن رشد يطالب



مشيةُ الإمبراطورية دميتري فاسيليف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

يمثل هذا الكتاب مقدمة شاملة وعميقة للسياسة والدبلوماسية وتاريخ العمل العسكري والإدارة والتشريع الروسي في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما يسلط الضوء على العديد من الجوانب الحضارية، ليس فقط للشعوب الشرقية الأصلية في هذه المنطقة، بل ولروسيا نفسها ونهجها الثقافي الذي لا يزال فاعلاً، إلى جانب أساليبها في استيعاب محيطها والخصوصية التي تشكل مشروع «الأمة الروسية الكبيرة».

المحليين بنشاط في الهيكل الإداري، الذي تم تصميمه لتخفيف من الاضطهاد الاستعماري من جهة، ومن جهة أخرى، لتوفير الإنفاق العام» (ص: ٣٦٠-٣٦١). ليس من الغريب أن تكون نتائج العمل التبشيري في الهند وتركستان ضئيلة على نحو متساو تقريباً. حول هذه المسألة، يشير الكاتب إلى أن روسيا أحجمت عن القيام بنشاط تبشيري، مفضلةً تكتيكات «تجاهل» المسلمين في القضية الدينية، في حين دعمت بريطانيا العظمى رسمياً المدارس الهندوسية والإسلامية ولم تعارض أنشطة المبشرين المسيحيين. عند الخوض في تحليل أسباب هذه المقاربات المتباينة بين روسيا وبريطانيا تجاه أراضيها الجديدة، يؤكد المؤلف انتفاء القاعدة التي قد يمكن أن تجمع بينهما، مفسراً موقفه بالطبيعة الاقتصادية المختلفة ما بين بريطانيا العظمى وروسيا. فإن كان من الصواب تسمية الأولى بلداً رأسمالياً مكتملاً، يقف في الطور النهائي لتشكل الإمبريالية الاستعمارية، فإن الثانية قد أنجزت شبكة علاقاتها الرأسمالية لتوها فقط. لم يحدد هذا خصائص النظم الاقتصادية وحسب، بل ووضع نهجاً مختلفاً تجاه الأقاليم الخاضعة، الذي تسبب (بدوره) في اختلاف طرق وطبيعة ضم المناطق الجديدة؛ فإذا كان البريطانيون يقاتلون في الهند للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية، فإن تمدد روسيا في آسيا الوسطى تملية، في المقام الأول، أهداف السياسة الخارجية. ثمة ملاحظة مثيرة للفضول ساقها المؤلف لهذا الموضوع تتمثل في اقتباس للشاعر والناشط السياسي الروسي فاسيلي فيايتشكو الذي عاش مطلع القرن العشرين وعاصر الأحداث في المستعمرات الأوروبية جنباً إلى جنب مع التوسع الروسي في آسيا الوسطى. يؤكد الشاعر على اختلاف جوهرى بين هاتين الظاهرتين

كازاخستان وتركستان وترانسكاسبيا (تركمانستان اليوم). بينما يختتم الكتاب فصوله بالتأثير الثقافى للحضارة الأوروبية (الروسية) على الحياة اليومية للسكان الأصليين في آسيا الوسطى. يجب المؤلف على أسئلة تتعلق بمفهوم الهيمنة وذلك من خلال مقارنة تحليلية بين أراضي آسيا الوسطى المنضوية تحت الراية الإمبراطورية الروسية وبين ممتلكات ما وراء البحار لإمبراطورية استعمارية كلاسيكية مثل بريطانيا العظمى. يجد الباحث سمات مشتركة في النظام القضائي في كلا الإقليمين، من أهمها أن اللوائح القضائية المحلية للمستعمرات ظلت دون أي تغييرات كبيرة بعد تدخل كلتا الإمبراطوريتين، فاحتفظت السلطات الجديدة بالقانون الأصلي العريفي بما يتعلق بالقضايا الجنائية بين السكان المحليين، أما القضايا المدنية فكانت تنقل إلى المحاكم العاملة بالنماذج الأوروبية المنشأة حديثاً. مع ذلك فالاختلافات بين الحالتين كثيرة ولافتة للنظر. يلاحظ المؤلف أن الهنود (مثلاً) كانوا ينخرطون كثيراً في إدارة بريطانيا لمستعمراتها الآسيوية، في حين أن روسيا وظفت مواطنيها كأساس في الجهاز الإداري الجديد في تركستان (على سبيل المثال) ما يشير، حسب رأيه، إلى أن الحكومة الروسية كانت تأمل في أن يصبح موظفوها دعاة ومرشدي المواطنين الإمبراطورية، وبأن يساهموا في نشر عادات وتقاليد النظام الإداري الجديد. يقول الكاتب: «كان البريطانيون مهتمين بالهند أساساً باعتبارها نقطة انطلاق اقتصادي. لقد كانت مجرد وسيلة لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية محددة، وبالتالي كانت المهمة الرئيسية للإدارة الاستعمارية الحفاظ على أراضي ما وراء البحار والزامها بيت الطاعة. بالتالي يبدو منطقياً تماماً إشراك السكان

يؤكد المؤلف على أهمية الشرق بمعناه الواسع لروسيا، وبأن توسع روسيا شرقاً هو درة تاج الإمبراطورية الروسية. ومنذ بداية بحثه الذي يربو على ستمائة صفحة، يكشف لنا المؤلف فكرته المحورية: «حين أتخيل الإمبراطورية الروسية يبرز أمام عيني نوع من الخريطة التفاعلية لروسيا، فتومض في المقدمة المناطق التي عدت جزءاً منها في أوقات مختلفة، بعدها فقط ألحظ سانت بطرسبرغ الرائعة وموسكو القابضة على زمام السلطة الإمبراطورية. تندفع هذه الومضات، الكبيرة منها والصغيرة، إلى الشرق، وجزئياً فقط إلى الجنوب، بينما لا تبرق إلا قليلاً في مناطق منفردة صغيرة في الغرب (...) تسيير الإمبراطورية إلى الشرق، تماماً كما لو أن سدا يصدها عن المضي غرباً. الأمر كذلك فعلاً؛ فمنذ البدء، أخذ أمراء موسكو تقاليد السلطة من الشرق، من خانات القبيلة الذهبية (المغول) وتبنوا أساليبها في إدارة الدولة. وقد سمح لهم هذا التقليد بلم شمل الأراضي من حولهم. ويبدو أن التفاعل الوثيق مع الخانية الشرقية قد نقل إلى الروس فكرة الشمولية، مما دفعهم نحو شرق مألوف ومفهوم لهم، ليس شرطاً أن يكون مندمجاً حضارياً، ولكن مع رغبة في إفادة الشعوب المحلية بدمجهم في دولة مركزية قوية، مشعة روحياً، ولا تقهر» (ص: ٣). يقدم العمل صورة بانورامية لتواجد الإمبراطورية الروسية في آسيا الوسطى، محددًا طبيعة الكتاب متعددة الأوجه. نبدأ مع مراجعة لأنشطة الهيئة المسماة «اللجنة الآسيوية» التي أنشئت في الربع الأول من القرن التاسع عشر، وهي هيئة تتبع وزارة الخارجية وتربط بين مختلف الإدارات لتطوير المسار السياسي للإمبراطورية الروسية في آسيا الوسطى. ويفتح الفصل الثاني نافذة تاريخية واسعة على سهوب



طشقند، مثل جميع مدن تركستان ذات الأهمية، تتكون من مدينتين - روسية وتقليدية، فالروس تركوا مدن الناس بلا مساس وبنوا مدنهم بجوارها. أما طشقند الروسية فتترك لدى المرء انطباعاً أكثر إمتاعاً: شوارع واسعة تصطف الأشجار على جنباتها، وبمحاذاة هذه الأشجار، تجري قنوات الري، ما وفر الكثير من المساحات الخضراء. يوجد في الشوارع الرئيسية متاجر جيدة والعديد من الفنادق والمطاعم الصغيرة اللائقة. لقد كان بالإمكان اعتبارها مدينة روسية جنوبية جميلة، لولا السكان الأصليين الذين يرتدون أردية ملونة بينما نساؤهم في أردية أحادية اللون، معظمها سوداء، ولا يمكنك حتى رؤية عيونهن خلف شبكة كثيفة من شعر الخيل. وللمدينة الأصلية طابع مختلف، فهي كبيرة، يفوق عدد سكانها مائة ألف شخص. ومثل كل المدن في تركستان فهي كتلة مزدحمة من المنازل المنخفضة المبنية من الطوب واللبن، مع جدران تحيط بالفناءات. الشوارع ضيقة للغاية بحيث يصعب مرور عربتين فيها. وبالتقرب من ساحة السوق المركزي يُفتح في كل منزل متجر أو ورشة حرفية، حيث يتم إجراء جميع المهن أمام أعين المارة. يباع في بعضها كل أنواع المنتجات والفواكه المحلية، والبعض الآخر مليء بالسلع الروسية الرخيصة. هناك العديد من الأكشاك حيث يتم غلي الأطعمة المحلية وقليلها على مرأى الناس، وهناك المقاهي المحلية، المكان المفضل للسكان الأصليين، يجلسون فيها لساعات طويلة على منصة عالية مفروشة بالسجاد ومجهزة بالوسائد ويشربون الشاي من أكواب بدون مقابض ويناقشون أخبار السوق» (ص: ٦٠٦-٦٠٧).

وبلغة شعرية يضع المؤلف تلخيصاً لسياسة بلاده في الشرق فيقول: «لقد تمددت الإمبراطورية الروسية شرقاً على مدى أزمنة طويلة، مقطوعة بفترات صمت تطول وتقتصر، وكانت خطوات تقدمها متفاوتة. في فترة ما ترتعد الأرض من تحتها وترتعد معها المفاهيم، وفي فترة أخرى، تتجمد الخطوات أو تتربص لتنفيذ قفزة حاسمة أخرى».

الكتاب: مَشِيَّةُ الإمبراطورية.

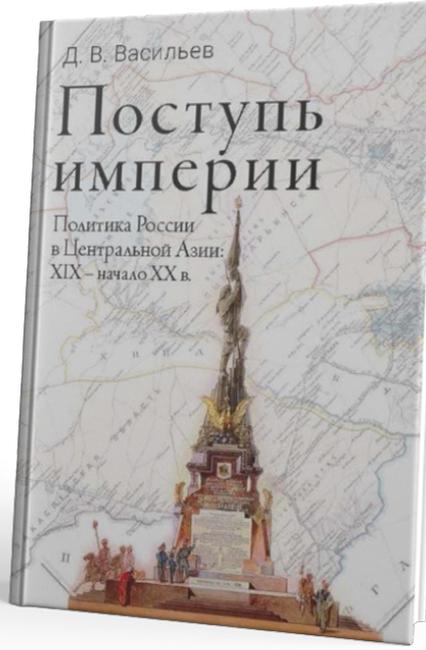
المؤلف: دميتري فاسيليف.

نيسور-إستوريا/سانت بطرسبورغ/2022

اللغة: الروسية

عدد الصفحات: 637

* أكاديمية ومستعربة روسية



يرفض المؤلف اعتبار العملية بمستوى واتجاه واحد. وبعكس النظرة الأحادية القائلة إن الروس قاموا بنشر مبادئ الحضارة الأوروبية في البيئة الكازاخستانية، يضيف إليها المؤلف قائلاً: «هناك اتجاه ثانٍ في تفاعل الروس الوثيق مع الكازاخيين وهو التأثير الذي تركته الثقافة البدوية على الروس. وعلى الرغم من أن هذا التأثير لم يكن عميقاً، إلا أنه حدث بفضل سحر البساطة وصدق الشخصية البدوية» (ص: ٥٠٣).

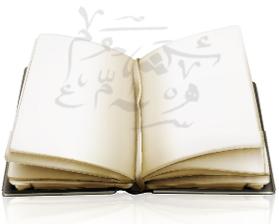
تتضح جديّة الدراسة من خلال المواد التي بحث فيها المؤلف، إذ لم تقتصر على الوثائق الحكومية، فأضاف إليها مذكرات رجال الدولة في أوائل القرن العشرين، وهي أعمال متعددة الأوجه، تجمع بين المواقف البيروقراطية والشخصية، متضمنة تقييمات وآراء أصحابها باعتبارهم موظفين مدنيين أو شخصيات تمتلك تصوراتها الخاصة. وتتميز المواد التي يستشهد بها الكاتب كثيراً في الكتاب بامتلاكها بصمة قوية لفهم ممثلي الحضارة الأوروبية الجمعي عن الشرق، ويلاحظ أن هذه المواد كتبت بحبر أوروبي - إن صحّ التعبير - وبأنها موجهة لقارئ ينتمي إلى الحضارة الأوروبية، انتماء لا لبس فيه. إن هذا التصور الذي أخذ زخمه البحثي الأوسع بعيد صدور كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، ترك بصمته ليس على موقف السلطات الإمبريالية تجاه الشرق وحسب، بل وكذلك على تشكيل السياسة الشرقية للإمبراطورية الروسية برمتها.

فلنأخذ الأمير فاسيليتشيكوف (مثلاً) وهو يشير إلى الطابع الضريد لمدن تركستان على النحو التالي: «مدينة

بحجة أن «السمة الغالبة للاستعمار هي الرغبة في مضاعفة المداخل، وبالتالي فإن الخصائص المحلية لا تخضع لتغيير جاد، لدرجة إبقاء الحكام الأصليين في أماكنهم شريطة تنفيذ الأوامر. الأمر مختلف لدينا، فغزواتنا، وهي امتداد لحدود الإمبراطورية، تنحو للتقارب الثقالي مع المناطق المضمومة وربطها بالمركز القيادي، وبالتالي تغدو الحكومة المركزية مصدراً وحيداً للسلطة، بحيث لا يُسمح للزعماء المحليين بإنشاء أية علاقات فرعية إلا بشكل مؤقت، وباعتبارها أثراً من الماضي المندثر» (ص: ٣٦٤).

لم يترك المؤلف سياسة الإمبراطورية الروسية تجاه الإسلام بلا نظر. يثبت أن الدين الإسلامي في العقدين الأولين من الهيمنة الروسية في آسيا الوسطى لم يتعرض عملياً لأي اضطهاد، ناهيك عن أنه كان محمياً من ادعاءات بعض الإداريين والعسكريين «القوميين» المتطرفين. يكتب معتمداً على وثائق إرشيفية: «في كانون الثاني من سنة ١٨٦٨ صاغ كوفمان، وهو أول حاكم لمنطقة تركستان، وكان يتحدث إلى ممثلي رجال الدين المسلمين، المبدأ الأساسي لسياسته الدينية. يقوم هذا المبدأ على عدم تدخل الإدارة الروسية في الحياة الدينية للسكان المحليين مقابل إخلاص رجال الدين للحكومة الجديدة. هذه السياسة، التي عرفها الحاكم نفسه بأنها «تجاهل للإسلام»، تجلت في الحد من انتشار الأرثوذكسية في المنطقة، والحفاظ على المؤسسات التعليمية المحلية، والانغماس الكبير من قبل الإدارة في بناء المساجد الجديدة، وتخصيص الأموال لحماية التراث الإسلامي المعماري على الأراضي المدارة، وترميم آثار الثقافة الإسلامية. ولكن، من ناحية أخرى، نفذت الحكومة الروسية في المنطقة علمنة لأراضي الأوقاف وحظرت رسمياً توصيات الأوقاف الجديدة، كما منعت إنشاء هيئة إفتاء مستقلة في تركستان حيث ظلت منضوية في هيئة إفتاء روسية داخلية» (ص: ٣٥٠-٣٥١).

خُصص جزء كبير من الكتاب للتأثير الثقالي للحضارة الأوروبية (الروسية) على الآسيويين. لقد وقف الباحثون في الماضي إزاء هذا التأثير على طريقتين، فهو محاط بنظرة إيجابية عند هذا الفريق، وسلبية عند فريق آخر؛ وغالباً ما يعود السبب إلى تباين معتقداتهم السياسية. اليوم يمكن معالجة هذه المسألة من زاوية موضوعية، وهو ما سعى الباحث لتحقيقه قدر المستطاع. فعند الحديث عن تناقض الكازاخستانيين،



الوصول إلى عمق حفرة الأرنب: رحلات غير عادية إلى الدماغ البشري ألان روبر وبرايين بوريل

طلال اليزيدي *

في الآونة الأخيرة أصبح الدماغ ذو اللون الرمادي الغامض محط اهتمام العديد من المفكرين. قد تبدو هذه ملاحظة غريبة، نظرًا لأن الدماغ كان دائمًا في مركز العديد من مؤلفات وأبحاث المفكرين. لكن يبدو أن هناك اهتمامًا شعبيًا متزايدًا بالدماغ والأشياء العصبية هذه الأيام. علم الأعصاب في السنوات الأخيرة فرض حصارًا على العلوم الإنسانية حيث كان على الفلسفة والتخصصات الإنسانية الأخرى التأقلم ومواجهة الحقائق الجديدة المتعاذة لدور الدماغ من علم الأعصاب. فالتصوير المقطعي المحوسب للدماغ غير المقروء للمشاهد العام يعتبر شرطًا لا غنى عنه للمصداقية العلمية لجميع التشخيصات والعلاجات النفسية.

قال الدكتور روبير وشريكه في التأليف، بريان ديفيد بوريل، «يتم إرسال الحالات الأكثر غرابة والأكثر صعوبة ليتم حلها». الدكتور روبير يحاول الوصول إلى المسببات الأساسية ليتمكن من علاج هذه الحالات، فهو بذلك يطبق المثل الشائع «الوصول إلى عمق حفرة الأرنب».

هناك عدد من الطرق التي يمكن أن يتأثر بها الدماغ ويبدو أن روبير قد واجهها جميعًا في مهنته: التهاب السحايا، والنزيف في المنطقة تحت العنكبوتية، والانسداد، والأورام، والأورام الدبقية، والنوبات، والشلل النصفي، وبالطبع هنالك العديد من الكوارث التي تختبئ وراء المصطلح المبتذل السكتة الدماغية. وفقًا لروبير، الدول الاسكندنافية لديها أدنى معدلات الإصابة بالسكتة الدماغية في العالم، في حين أن الشعب الياباني الذي يعتقد الجميع أنهم الأصحاء من بين جميع الشعوب، لديهم أعلى معدلات الإصابة بالسكتات الدماغية. ليس من الأكيد إذا ما كانت الإحصائيات هذه التي ذكرها روبير محدثة، ولكن على أي حال، هذا ليس كتابًا للمرضى أو أي شخص يشعر بالقلق من الصعوبة في تذكر بعض من أسماء نجوم السينما. بل كتاب يثير بعض المخاوف، بوعي أو بغير وعي، عن الأعراض المترتبة من فقدان الدور الرئيسي للدماغ الذي عرفه روبير بانقلاب مفاجئ ووحشي للحياة الطبيعية.

مرارًا وتكرارًا في ثنايا الكتاب غالبًا من دون سابق إنذار، شخصيات ذات أوصاف نمطية غير طبيعية يظهرون بأعراض غريبة في مواقف اعتيادية. ذكر روبير في

الطبية، الأطباء المحرومون من النوم يدخلون ويخرجون من غرف الفحص، يسألون المرضى سلسلة من الأسئلة القياسية، ويقومون ببعض من النقرات على جهاز الحاسوب لطلب فحص الدم أو تصوير الصدر بالأشعة السينية أو توصيف مسكنات الألم. ثم يخرجون من الباب ليكرروا البروتوكول مع العدد الكبير من المرضى الآخرين تحت مراقبتهم. عندما تنتهي فترة مناوبتهم، بعد حوالي ١٢ أو ١٨ أو في بعض الأحيان ٢٨ ساعة، يتم استبدال هؤلاء الأطباء المرتهين ملابس زرقاء بأخرين، في تلك الأثناء أجهزة الحاسوب تسهل عملية انتقال المناوبة.

لا شك أن النهج المتحور حول التكنولوجيا في الطب له فوائده، فتمنح آلات التصوير والفحص الجيني الأطباء أدلة بيولوجية مخفية عن الأطباء. يمكن لأجهزة الحاسوب الطبية أن تجعل المستشفيات أكثر كفاءة، وتمنع الأخطاء الطبية التي من الممكن ارتكابها. لكن ممارسة الطب لا يمكن اختزالها في الخوارزميات والبكسلات والبروتوكولات، كما يجادل طبيب الأعصاب الدكتور ألان روبير بمهارة في كتابه الترفيهي «الوصول إلى عمق حفرة الأرنب». جملة الوصول إلى عمق حفرة الأرنب هو مثل شائع في اللغة الإنجليزية للدلالة على الوصول إلى السبب الرئيسي لمشكلة ما. بالنسبة للدكتور روبير، الطب حرفة وفن يعتمد على التفاعل البشري بين الطبيب والمريض.

يعرض الكتاب حالات طبية غامضة من مستشفى بريغهام العملاق في بوسطن. يحتوي الطابق العاشر على جناح مرضى أمراض الأعصاب، وهو مكان، كما

«الوصول إلى عمق حفرة الأرنب»، بقلم الدكتور ألان روبير Allan Ropper وبرايين بوريل Brian Burrell، يعد جزءًا كبيرًا من الاهتمام الفكري الأخير بالدماغ البشري. روبير طبيب أعصاب مُتميز في كلية الطب بجامعة هارفارد لديه العديد من الحكايات الرائعة ليرويها من جناح الأعصاب بمستشفى الجامعة. في الجانب الآخر بوريل محاضر أول في الرياضيات بجامعة ماساتشوستس قام بالتدريس في جامعة ماساتشوستس لمدة ٢٥ عامًا. يقوم بدور رجل النثر في الكتاب يحول قصص روبير المهنية إلى عظات قصيرة ذات مغزى عصبي ووجودي.

ما أنتجه بوريل وروبير في كتابهما هو صورة لطبيب أعصاب ومعلم موهوب للغاية، دائمًا ما يكونان أذكى الرجال في الغرفة. تنتهي كل حكاية تقريبًا بظهور روبير كبطل اللحظة. الكتاب مكتوب بعناية شديدة بحيث يمكن التباهي به بصراحة، لكنه ليس بالضبط مقالًا في التواضع المهني. بمعنى آخر، الكتاب يمثل حجة طويلة في وجهة نظر روبير على أولوية التشخيص بالطريقة القديمة بطريقة استجواب المريض على التشخيص بالتكنولوجيا الحديثة في طب الأعصاب. لكن المفارقة المركزية التي يتصارع معها روبير في وجهة النظر هذه هو أن نفس الدماغ الذي يستخدمه المريض في الاستجواب والتشخيص غالبًا ما يكون ضعيفا وغير موثوق.

قد يُغضر غزو كائن فضائي إلى مستشفى في العصر الحديث لاعتقاده أنها مؤسسة تدار من قبل الآلات. في خضم المقاطع الصوتية لأزيز وصفير المعدات



على الرغم من ذلك، من الصعب ألا تحب طبيياً تكون مهنته وتوجهه الأول هو التحدث إلى المرضى. يتتبع أفكارهم كالمطاردة في جحر أرنب حتى وإن كان الظلام مخيفاً. يذكر روبير قصص بعض الشخصيات التي ساعدها كالمراة المصابة بمرض باركنسون وتعاني من تقلبات مزاجية حادة وتهلوس برؤية كلاب الملكة إليزابيث في موقد مدخنة المنزل. وقصة امرأة أخرى، في المراحل الأخيرة من مرض العصبون الحركي، وعندما تنظر إلى لوح زجاجي تهلوس بقراءة حروف مكتوبة على الزجاج. منذ أكثر من ٢٠ عاماً، ساعد الدكتور روبير أيضاً الممثل الأمريكي الكندي مايكل فوكس في تخصيص أدوية باركنسون له لتهديته من الهزات عندما كانت الكاميرا قيد التشغيل.

بالنسبة للمرضى الذين يعانون من حالات مزرية، فإن الدكتور روبير ليس إلا مديراً للمرضى، ولا يملك أداة سحرية تمكنه من شفاء المرضى. وهنا تأتي المسافة العاطفية بين الدكتور روبير والمريض يشرح قائلاً: «طالما بقي خوفي مخيفاً، يمكنني أن أحشد درجة من الهدوء والصبر التي تسمح لي بالبقاء بجانب السرير وأن أكون فعالاً.» لو كان هذا الكتاب نتاج كتاب آخرين أقل شأنًا من روبير وبوريل، لربما لم يكن غير مجموعة من الحكايات الملونة حول الطرق العديدة التي يمكن أن ينهار بها دماغ الإنسان. لكن الدكتور روبير والسيد بوريل تمكنا من سرد قصة أكثر عمقاً حول قيمة شخص الطبيب على الآلات الطبي في التشخيص والعلاج. الأطباء ليسوا دائماً متواضعين أو متعاطفين أو مهذبين، وهم بالتأكيد ليسوا معصومين من الخطأ، لكن لدى الطبيب شيء ما لن تستطيع الآلة إبداله أبداً: «العقل البشري».

الكتاب: الوصول إلى عمق حفرة الأرنب: رحلات غير عادية إلى الدماغ البشري

الكاتب: ألان روبر وبرايين بوريل

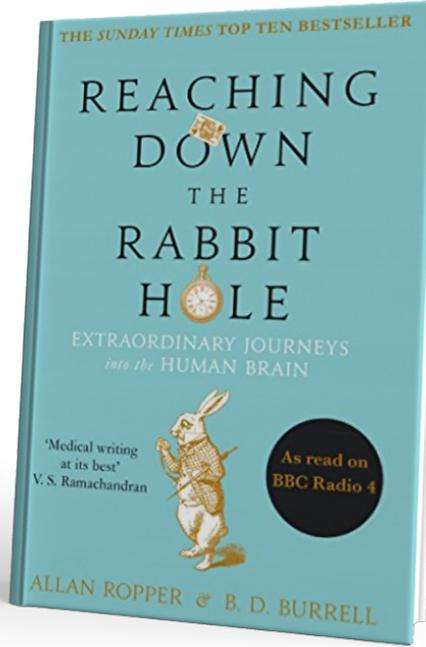
لغة النشر: الإنجليزية

الناشر: Atlantic Books

عدد الصفحات: 272

سنة النشر: 2022

* كاتب عُمانى

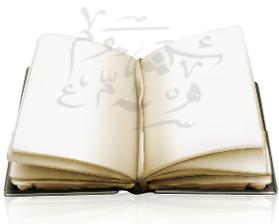


كانا يتجهان إلى الشمال مثل إبرة البوصلة الممغنطة. أوضح روبير أن ما يجعل التشخيص صعباً بشكل خاص هو أن المشكلة في بعض الأحيان تكون نفسية وليست عصبية؛ فيمكن للعقل أن يقنع الدماغ بأن يعاني كل شيء من الشلل إلى العمى. يذكر روبير قصة مع طبيب أعصاب مخضرم نصحه مازحاً بتلويح ورقة نقدية بقيمة ١٠٠ دولار أمام أي شخص تظهر عليه علامات العمى الهستيرى، فعيونهم ستبدأ بتتبعها على الرغم من اقتناعهم بأنهم مصابون بالعمى. هذه الممارسة واحدة من العادات الطبية التي لا حصر لها والمثيرة للاهتمام التي جمعها روبير وبوريل في سلسلة تحت عنوان فرعي سمي بدقة «الرحلات غير العادية إلى الدماغ البشري».

الدكتور روبير في سرده يكون في نفس الوقت مغروراً بشكل لا يطاق ومزعجاً بشكل ساحر. فعندما يكون الجناح الطبي للأمراض العقلية في المكان الذي يعمل فيه الدكتور روبير غير مزدهم، يشجع الدكتور روبير الأطباء المقيمين على الخروج إلى الرصيف وجمع الحالات المثيرة للاهتمام على سبيل المثال «أي شخص لا يستطيع المشي بشكل مستقيم». يمزح الدكتور روبير بعجرفة في كتابه عن وجود شكوك حول الصحة العقلية لطبيبة مقيمة بسبب أطقمها وبناطيلها «الغريبة بلا داع». يمزح أيضاً حول دكتور مقيم آخر يستخدم ألفاظاً عامية في مكان عمله على أنه سيتأقلم أكثر لو كان في أحد شوارع لوس أنجلوس.

الكتاب قصة فينسنست على سبيل المثال، وهو في الأصل رجل غاضب في منتصف العمر أصبح فجأة مبتسماً ولطيفاً ويقذف ثرثرة بعد كل مباراة للبيسبول. بناءً على فحوصات دماغه يشير العديد من الأطباء الجدد إلى أن الجاني هو ورم أو ربما سكتة دماغية. لكن الدكتور روبير لم يكن مقتنعاً. تحدث إلى زوجة فينسنست واكتشف أن مشاكل زوجها بدأت بالصداع والحمى. اكتشف بعدها روبير أن عدوى الهربس تفسر الأعراض الرئيسية التي مر بها فينسنست. وبالتأكيد، بعد تناول دواء مضاد للفيروسات، سرعان ما عاد فينسنست إلى نفسه الغاضبة السريعة الانفعال. يذكر روبير في كتابه الحالات المتناقضة للمرضى جوردن ووالتر، وهما رجلان كبيران في السن يعيشان في حالة ضبابية من الارتباك. يؤكد الدكتور روبير أن الطريقة الوحيدة لفهم الدماغ التالف هي إشراك «الدماغ بمحادثة منهجية». بعد استجواب منهجي، تعلم روبير أن عقل جوردن مختلط. فعندما سأله عن مكان إقامته أجاب جوردن بعبارة لا معنى لها حول الكلاب القادرة على الكلام وأفضل أيامه. هذا النوع من الارتباك في الإجابة ليس له منطوق وقد يؤدي إلى سوء التشخيص. في المقابل يتجول عقل والتر بعيداً عن واقعنا، فعلى سبيل المثال يعتقد أن الدكتور روبير سجل هدف الفوز بجامعة بوسطن في عام ١٩٦٢. فذهن والتر يؤمن بواقعة الخاص بقواعد متسقة، والخبر السار أنه يمكن عكس ذهن والتر نحو التفكير السليم.

في ثنايا الكتاب غالباً ما تكون نبرة الدكتور روبير مضحكة، وفي جوانب أخرى تكون مؤلمة. يتضمن الكتاب مجموعة من حالات الهستيريا، ربما لأنه أحد أكثر الحالات شيوعاً التي يتعامل معها طبيب الأعصاب. يذكر روبير قصة المراهقة التي تتظاهر بأنها كفيفة، وامرأة أخرى تنوي إعطاء ابنتها الصغيرة مسكنات للألم رغم أنها لا تعاني من أي ألم. تعامل روبير أيضاً مع حالات «هراء» مثل اقتناع زوجين بأن المنافذ الكهربائية تجعل أجسادهما ترن. يبدو أن الدكتور روبير لديه القليل من الصبر مع هذا النوع من المرضى. ذكر روبير في الكتاب أنه أخبر الزوجين بأنهما قد يكونان ممغنطين، واقترح عليهم أن يطفوا في حمام السباحة الخاص بهما لمعرفة ما إذا



تاريخ موجز للمساواة

توماس بيكيتي

علي الرواحي *

جرت العادة أن تكون إصدارات توماس بيكيتي السابقة كبيرة وضخمة؛ فخلال العقدين الماضيين أصدر عدد من الكتب الرئيسية التي تتجاوز صفحاتها أو تصل لألف صفحة، منها: «رأس المال والأيديولوجيا» 2019م، و«رأس المال في القرن الحادي والعشرين» 2013م، وهي أعمال ضخمة بمقاييس ومعايير الحياة المتسارعة الحالية. ومع ذلك، بالرغم من الحجم المختصر لهذا العمل، إلا أنه لا يقتصر على عرض منهجي للدروس الرئيسية المستفادة من هذه الأعمال عن طريق تلخيص المناقشات التي أثارَت الأسئلة في السنوات الأخيرة، بل يوفر منظورا جديدا لتاريخ اللامساواة استنادا لقناعة قوية تقول بأن التقدم نحو المساواة هو معركة بدأت منذ فترة طويلة وتحتاج فقط إلى الاستمرار في القرن الحادي والعشرين، شريطة أن نشارك فيه جميعاً، وأن نتخلى عن الانقسامات القائمة على الهوية العرقية أو الثقافية وعلى الضوابط التي تمنعنا في كثير من الأحيان من المضي قدماً؛ ذلك أن الأسئلة الاقتصادية مهمة للغاية بحيث لا يمكن تركها لفئة صغيرة من المتخصصين والمديرين. كما أن نشر هذه المعرفة للمواطنين هي مرحلة أساسية في تحول علاقات القوة.

الوحيد للثورة، يبدو من الواضح أن هذا التطور لن يؤدي إلا إلى زيادة عدم شعبية الطبقة الأرستقراطية والنظام السياسي القائم. الأمر الذي جعل في عام 1965م جان بوفيه وزملاءه أن يصفوا أهمية هذه البحوث بقولهم: «طالما تظل مداخيل الطبقات الاجتماعية المعاصرة خارج نطاق البحث العلمي، سيكون من العبث محاولة كتابة تاريخ اقتصادي واجتماعي صالح».

في موازاة ذلك، مهد المؤرخون والاقتصاديون الأمريكيون والبريطانيون الطريق لتاريخ توزيع الثروة؛ ففي عام 1953م، جمع سايمون كوزنتس الحسابات القومية الأولى، التي ساعدت في تأسيسها بعد صدمة الكساد، مع بيانات من ضريبة الدخل الفيدرالية (التي تم إنشاؤها عام 1913م، بعد معركة سياسية ودستورية طويلة) من أجل تقدير حصة الدخل المرتفعة في الدخل القومي؛ حيث تناولت الدراسة دولة واحدة فقط (الولايات المتحدة) وفترة قصيرة نسبياً (1913م-1948م)، لكنها كانت أول دراسة من هذا النوع، وقد أحدثت ضجة كبيرة. كما فعل روبرت لاميمان الشيء نفسه في عام 1962م مستخدماً بيانات من الضريبة الفيدرالية على الميراث، وفي عام 1978م، دفع توني أتكينسون التحليل إلى أبعد من ذلك، مستخدماً مصادر بريطانية عن الميراث. كما عادت أليس هانسون جونز إلى الوراء في الزمن، حيث نشرت في عام 1977م نتائج تحقيق واسع في قوائم جرد الممتلكات للأمريكيين في الفترة الاستعمارية.

بالإضافة لذلك، فإن التقدم المحرز في المجال التقني منذ عام 2000م جعل من الممكن تمديد التحليل لفترات أطول وإلى عدد أكبر من البلدان. انطلاقاً من برامج البحث هذه، جمعت قاعدة البيانات العالمية لعدم المساواة (WID.world) في عام 2021م الجهود المشتركة لما يقرب من مائة باحث بشأن ثمانين دولة في كل قارة، مع بيانات حول توزيع الدخل والثروة تعود، في بعض الحالات، إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والمضي قدماً حتى العقود الأولى من

طويل الأمد نحو المساواة، لكنه مع ذلك محدود النطاق. سنرى أن التفاوتات المختلفة استمرت على مستويات كبيرة وغير مبررة في جميع هذه الأبعاد - الوضع والملكية والسلطة والدخل والجنس والأصل وما إلى ذلك. وعلاوة على ذلك، غالباً ما يواجه الأفراد تفاوتات مجتمعة ومختلفة في نفس الوقت. إن التأكيد على وجود ميل نحو المساواة لا يعني التباهي بالنجاح. فهو يدعو إلى مواصلة النضال على أساس تاريخي متين، عن طريق دراسة كيفية إنتاج الحركة نحو المساواة، كما يمكننا أن نتعلم دروساً ثمينة لمستقبلنا ونفهم بشكل أفضل النضالات والتعبئة التي جعلت هذه الحركة ممكنة، بالإضافة إلى الهياكل المؤسسية والقانونية والاجتماعية والمالية والتعليمية والانتخابية؛ فالأنظمة التي سمحت للمساواة بأن تصبح حقيقة دائمة، لسوء الحظ، غالباً ما تضعف عملية التعلم الجماعي حول المؤسسات المنصفة بفعل فقدان الذاكرة التاريخي، والقومية الفكرية، وتجزئة المعرفة. فمن أجل مواصلة التقدم نحو المساواة، يجب علينا العودة إلى دروس التاريخ وتجاوز الحدود الوطنية والتنظيمية. فهذا العمل الحالي، الذي ينتمي إلى مجالات التاريخ والعلوم الاجتماعية، متفائل وتقدمي في نفس الوقت، كما يسعى للتحرك في هذا الاتجاه.

خلال القرن العشرين، أخذ البحث حول هذه الأسئلة منحى أكثر منهجية؛ حيث بدأ الباحثون في جمع البيانات على نطاق واسع فيما يتعلق بالأسعار والرواتب ودخل الأراضي والأرباح والميراث وقطع الأراضي. في عام 1933م، نشر إرنست لايروس كتابه «رسم تخطيطي لحركة الأسعار والدخل في فرنسا خلال القرن الثامن عشر»، وهي دراسة ضخمة أظهر فيها كيف حدث ذلك في سياق عقود ما قبل الثورة الفرنسية، وكيف تراجعت الأجور الزراعية مقارنة بسعر القمح ودخل الأرض، كل ذلك في سياق ضغط ديموغرافي قوي. من دون الادعاء بأنها كانت السبب

يقدم هذا الكتاب تاريخاً مقارناً لتقلص اللامساواة بين الطبقات الاجتماعية في المجتمعات البشرية، وذلك على مدى عشرة فصول متفاوتة في الحجم، والتركيز. أو بالأحرى، يقدم تاريخاً من المساواة، لأنه؛ كما سنرى، كانت هناك حركة طويلة الأمد على مدار التاريخ نحو المزيد من المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. هذا ليس، بالطبع، تاريخاً سلمياً، وليس تاريخاً خطياً، حيث لعبت الثورات والانتفاضات والنضالات الاجتماعية والأزمات من جميع الأنواع دوراً مركزياً في تاريخ المساواة الذي نعرضه هنا. يتخلل هذا التاريخ أيضاً مراحل متعددة من الانحدار والانطواء والتراجع.

ومع ذلك، على الأقل منذ نهاية القرن الثامن عشر، كانت هناك حركة تاريخية نحو المساواة؛ فأوائل العقد الأول من القرن الحالي، بغض النظر عن مدى ظلمه، هي أكثر مساواة من نواح عديدة عن تلك التي حدثت في عام 1850م أو 1780م. كما تتباين التطورات الدقيقة اعتماداً على الفترة الزمنية، وما إذا كنا ندرس عدم المساواة بين الطبقات الاجتماعية المحددة من خلال الوضع القانوني، أو ملكية وسائل الإنتاج، أو الدخل، أو التعليم، أو الأصل القومي أو الاثنى - العرقي أو مختلف الأبعاد المهمة. ولكن على المدى الطويل، بغض النظر عن المعيار الذي نستخدمه، نصل إلى نفس النتيجة. بين عامي 1780م و2020م، نرى تطورات تميل نحو مزيد من المساواة في المكانة والملكية والدخل والجنس والأعراق في معظم المناطق والمجتمعات على هذا الكوكب، وإلى حد ما عندما نقارن هذه المجتمعات على نطاق عالمي. إذا تبيننا منظوراً عالمياً متعدد الأبعاد بشأن عدم المساواة، يمكننا أن نرى أنه، من عدة نواح، استمر هذا التقدم نحو المساواة أيضاً خلال الفترة من 1980م إلى 2020م، وهي أكثر تعقيداً واختلاطاً مما يُعتقد في كثير من الأحيان.

منذ نهاية القرن الثامن عشر، كان هناك اتجاه حقيقي



للدحض، أو ضمن اليقينيّات المتعلقة، على سبيل المثال، بالمستوى المقبول للدين العام أو دور البنوك المركزية. على نطاق أكثر محلية ولكن لا تزال مهمة، انتهى تمرد السترات الصفراء في فرنسا في عام ٢٠١٨م بتخلي الحكومة عن خطتها لزيادة ضريبة الكربون، والتي تعزز اللامساواة بشكل خاص. في بداية عشرينيات القرن الحادي والعشرين، تُظهر حركات Black Lives Matter و #MeToo، قدرة رائعة على حشد الناس حول عدم المساواة العرقية والجنسانية والمناخية، عبر الحدود الوطنية والأجيال، مع الأخذ في الاعتبار التناقضات الاجتماعية والبيئية للنظام الاقتصادي الحالي، فمن المحتمل أن تستمر هذه الثورات والصراعات والأزمات في لعب دور مركزي في المستقبل، في ظل ظروف يتعذر التنبؤ بها بدقة.

من المهم أيضاً تسليط الضوء على درس آخر من التاريخ، وهو أن الصراعات وعلاقات القوة ليست كافية، فهي تُعتبر شرطا ضروريا لقلب المؤسسات غير المتكافئة والسلطات الراسخة، لكنها للأسف لا تضمن بأي شكل من الأشكال أن تكون المؤسسات الجديدة والقوى الجديدة التي ستحل محلها دائما تتسم بالمساواة وذات طابع تحرري كما يأمل الساعون لها.

السبب في ذلك بسيط كما يرى بيكيتي، فعلى الرغم من أنه من السهل إدانة الطبيعة القمعية للمؤسسات القائمة والحكومات، إلا أنه من الصعب بكثير الاتفاق على المؤسسات البديلة التي ستجعل من الممكن إحراز تقدم حقيقي نحو المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي نفس الوقت احترام الخيارات الفردية، بما في ذلك الحق في الاختلاف. فالمهمة ليست مستحيلة على الإطلاق، لكنها تتطلب منا قبول المداولات، ومواجهة وجهات النظر المختلفة، والتسويات، والكثير من التجريب، وقبل كل شيء، يتطلب الأمر منا قبول حقيقة أنه يمكننا التعلم من المسارات والتجارب التاريخية للأخرين، وخاصة أن المحتوى الدقيق للمؤسسات العادلة غير معروف مسبقا ويستحق المناقشة على هذا النحو. غير أننا سنرى أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر، استندت المسيرة نحو المساواة إلى تطوير عدد من الترتيبات المؤسسية المحددة التي يجب دراستها على هذا النحو: المساواة أمام القانون؛ والافتراع العام والديمقراطية البرلمانية؛ والتعليم المجاني والإلزامي، وغير ذلك.

الكتاب: تاريخ موجز للمساواة

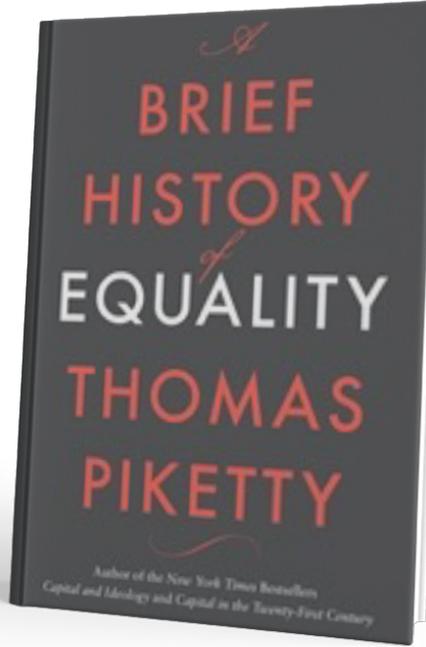
المؤلف: توماس بيكيتي.

الناشر: Harvard University Press, 2021.

عدد الصفحات: 288.

لغة الكتاب: الإنجليزية

* كاتب عُمانى



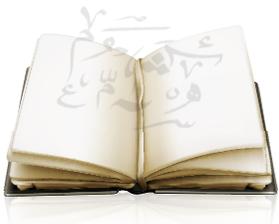
اجتماعية وأزمات سياسية واسعة النطاق. كانت انتفاضات الفلاحين في ١٧٨٨م - ١٧٨٩م وأحداث الثورة الفرنسية هي التي أدت إلى إلغاء امتيازات النبلاء. وبالمثل، لم تكن المناقشات صامتة في صالونات باريس ولكن تمرد العبيد في سان دومينغ عام ١٧٩١م مما أدى إلى بداية نهاية نظام العبودية في المحيط الأطلسي. فخلال القرن العشرين، لعبت التعبئة الاجتماعية والنقابية دورا رئيسيا في إنشاء علاقات قوة جديدة بين رأس المال والعمل وفي الحد من عدم المساواة. يمكن أيضا في هذا السياق، تحليل الحريين العالميتين كنتيجة للتوترات الاجتماعية والتناقضات المرتبطة بعدم المساواة التي لا تطاق والتي سادت قبل عام ١٩١٤م، على الصعيدين المحلي والدولي. ففي الولايات المتحدة، استغرق الأمر حربا أهلية مدمرة لوضع حد لنظام العبودية في عام ١٨٦٥م. وبعد قرن، في عام ١٩٦٥م، نجحت حركة الحقوق المدنية في إلغاء نظام التمييز العنصري القانوني. والأمثلة كثيرة: في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، لعبت حروب الاستقلال دورا مركزيا في إنهاء الاستعمار الأوروبي، كما استغرق الأمر عقودا من أعمال الشغب والتعبئة للتخلص من الفصل العنصري في جنوب إفريقيا في عام ١٩٩٤م.

بالإضافة إلى الثورات والحروب والانتفاضات، غالبا ما تكون الأزمات الاقتصادية والمالية بمثابة نقاط تحول، حيث تتبلور الصراعات الاجتماعية ويعاد تعريف علاقات القوة. في هذا السياق، لعبت أزمة عام ١٩٣٠م دورا رئيسيا في نزع الشرعية طويلة الأمد عن الليبرالية الاقتصادية وتبرير الأشكال الجديدة لتدخل الدولة. كما نرى أنه في الآونة الأخيرة أيضا، بدأت نتائج الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨م، وباء Covid-19 العالمي في ٢٠٢٠م-٢٠٢١م، في قلب العديد من الحقائق التي كانت تعتبر قبل فترة وجيزة غير قابلة

القرن الحادي والعشرين، حيث أتاح هذا المنظور الزمني والمقارن الأوسع إمكانات مضاعفة المقارنات وتحقيق إنجازات مهمة في التفسير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من التطورات الملاحظة، وقاد هذا العمل الجماعي إلى نشر دراستين في عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٩م تقترحان أول خطوط سردية تفسيرية حول التطور التاريخي لتوزيع الثروة، وهي دراسات ساعدت في إثراء المناقشات العامة حول هذه الأسئلة. كما بدأت مؤخرا دراسات حول التحولات في بنية عدم المساواة الاجتماعية والانقسامات السياسية، بما يتماشى مع الدراسات التي أطلقتها في الستينيات عالمنا السياسة سيمور ليبسيت وستاين روكان. مع ذلك، يجب التأكيد على أنه لا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به للجمع بين المنهجيات المتنوعة، والمصادر، ومهارات البحث لتقديم تحليل مرضٍ للتشكلات والمؤسسات، والتعبئة والنضالات، والاستراتيجيات والجهات الفاعلة المشاركة في التحولات التي تم الحديث عنها.

من الأسئلة المهمة التي تشغل بال مؤلف هذا العمل، والأعمال المشار إليها سابقا، هو: ما الدروس الرئيسية التي يمكن استخلاصها من هذا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الجديد؟ الأكثر وضوحا هو بلا شك ما يلي: عدم المساواة هي أولا وقبل كل شيء بناء اجتماعي وتاريخي وسياسي. بعبارة أخرى، بالنسبة إلى نفس المستوى من التطور الاقتصادي أو التكنولوجي، هناك دائما العديد من الطرق المختلفة لتنظيم نظام الملكية أو نظام الحدود أو النظام الاجتماعي والسياسي أو النظام المالي والتعليمي، حيث أن هذه الخيارات ذات طبيعة سياسية؛ فهي تعتمد على حالة علاقات القوة بين مختلف الفئات الاجتماعية ووجهات النظر العالمية المعنية، كما تؤدي إلى مستويات وهياكل غير متساوية متغيرة للغاية، بناء على المجتمعات والفترات الزمنية. لقد نشأت جميع إبداعات الثروة في التاريخ من عملية جماعية: فهي تعتمد على التقسيم الدولي للعمل، واستخدام الموارد الطبيعية في جميع أنحاء العالم، وتراكم المعرفة منذ بدايات البشرية. كما تخترع المجتمعات البشرية في المقابل باستمرار القواعد والمؤسسات من أجل هيكلتها نفسها وتقسيم الثروة والسلطة، ولكن دائما على أساس خيارات سياسية قابلة للتغيير والتراجع أيضا.

الدرس الثاني هو أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر كان هناك تحرك طويل الأمد نحو المساواة. وذلك بسبب الصراعات والثورات ضد الظلم التي جعلت من الممكن تحويل علاقات القوة والإطاحة بالمؤسسات التي تدعمها الطبقات المهيمنة، والتي تسعى إلى هيكلتها عدم المساواة الاجتماعية بطريقة مفيدة، واستبدالها بمؤسسات جديدة وحديثة، وتأسيس قواعد اجتماعية واقتصادية وسياسية أكثر إنصافا وتحرراً للأغلبية. بشكل عام، تشمل التحولات الأساسية التي شوهت في تاريخ الأنظمة أن اللامساواة خضعت لصراعات



إعادة تشغيل المستقبل: كيفية إصلاح الاقتصاد غير المادي جوناثان هاسكل وستيان ويستليك

زينب الكلبانية *

شهد العقدان الماضيان تباطؤًا في النمو الاقتصادي، وتزايدًا في عدم المساواة واختلال المنافسة، ومجموعة من العزل الأخرى التي جعلت الناس يتساءلون عما حدث للمستقبل الذي وُعدوا به. تكشف إعادة بدء المستقبل كيف تنشأ هذه المشاكل من الفشل في تطوير المؤسسات التي يتطلبها اقتصاد يعتمد الآن على رأس المال غير المادي مثل الأفكار، والعلاقات، والعلامات التجارية، والمعرفة. في هذا الكتاب الرائد والاستفزازي، يجادل جوناثان هاسكل وستيان ويستليك بأن خيبة الأمل الاقتصادية الكبرى أي القرن، هي نتيجة انتقال غير مكتمل من اقتصاد قائم على رأس المال المادي، ويوضح كيف أن المؤسسات الحيوية التي يقوم عليها اقتصادنا، تظل موجهة نحو طريقة عفا عليها الزمن، لممارسة الأعمال التجارية. لقد تباطأ نمو الاستثمار غير المادي بشكل كبير في السنوات الأخيرة؛ مما جعل العالم أفقر وأقل عدلا وأكثر عرضة للتهديدات الوجودية. يقدم هاسكل ويستليك أفكارا جديدة ومثيرة لمساعدتنا على اللحاق بالثورة غير الملموسة، ويقدمان خريطة طريق لكيفية تمويل الأعمال التجارية، وتحسين مدننا، وتمويل المزيد من العلوم والبحوث، وإصلاح السياسة النقدية، وإعادة تشكيل قواعد الملكية الفكرية للأفضل.

المنافسة بين العمال، المنافسة على المدارس والوظائف والمكانة. ويرى المؤلفان أن هذه المنافسة تدين بالكثير للأهمية المتزايدة للأصول غير الملموسة. على وجه الخصوص، فهي تزيد من مخاطر المنافسة الصفرية بين العمال، مما يؤدي إلى تصعيد مخاطر الاستثمار في درجات غير ضرورية ووثائق اعتماد لا معنى لها.

أما عن الحكمة المستلمة في تراجع المنافسة، كما يقول المؤلفان، فدعونا أولا نراجع الحجة المعيارية فيما يتعلق بمشكلة المنافسة البيئية، والتي تم توضيحها بشكل أوضح في البحث المهم الذي أجراه عالم الاقتصاد توماس فيليبسون. إذا كان هناك عدد قليل من الشركات المنافسة في السوق، فإن معظم الاقتصاديين يبدأون في القلق. غالبا ما يرتبط هذا الوضع بمنافسة أقل على الأسعار وتنوع السلع، وضعف حوافز الابتكار.

ومن الظواهر ذات الصلة ارتفاع ما يسميه الاقتصاديون «العلامات»، وهو الفرق بين التكلفة الحدية لإنتاج منتج، ومقدار بيع هذا المنتج. وتشير الأبحاث المؤثرة التي أجراها هاسكل ويستليك إلى أن هوامش الربح تزداد باطراد منذ عام 1980 في الولايات المتحدة وأوروبا. هذه علامة حمراء أخرى للاقتصاديين: في الأسواق التنافسية، لا نتوقع استمرار ارتفاع الأسعار؛ لأن المستهلكين سيتحولون إلى الشراء من المنافسين ذوي الأسعار المنخفضة.

ما هي الأعراض الأخرى لقلّة المنافسة؟ بالنسبة للعديد من الاقتصاديين، تبدو الفجوات الدائمة بين القادة، المتقاعدتين وكأنها علامة أخرى على فشل المنافسة. بعد كل شيء، عبقرية المنافسة هي أن الشركات التي لديها أفضل المنتجات فقط، هي التي ستحقق أداءً جيدا في السوق. لكن أفضل منتج يخضع للتغيير المستمر، وهو ما أطلق عليه الخبير الاقتصادي جوزيف شومبيتر التدمير الخلاق. في سوق يعمل بشكل جيد، نتوقع أن نرى شركات متخلفة إما تخرج من السوق، أو

في الأسواق الرقمية مثلا بارزا؛ فقد دعت إلى إنفاذ أكثر صرامة لمكافحة الاحتكار يشمل تفكك المنصات المهيمنة، ومتطلبات قابلية نقل البيانات، وحظر إساءة استخدام القوة التفاوضية. أجرت المملكة المتحدة استعراضها الخاص للمنافسة الرقمية في عام 2019، بقيادة الخبير الاقتصادي الأمريكي جيسون فورمان. ويشارك الاتحاد الأوروبي هذا القلق الخاص. في حديثها في أكتوبر 2020، وصفت مفوضة الاتحاد الأوروبي مارجريت فيستاجر المنصات الرقمية بأنها «حراس البوابة، ولديهم قوة هائلة على حياتنا». وهي ترى أنها يمكن أن تؤثر على سلامتنا؛ فالمنتجات الخطرة ومحتواها الضار يمكن أن ينتشرا على نطاق واسع. يمكن أن تؤثر على فرصنا، سواء كانت الأسواق تستجيب لاحتياجاتنا، أو أنها تعمل فقط لصالح المنصات نفسها. بل إن لديها القوة لتوجيه نقاشاتنا السياسية، وحماية - أو تقويض - ديمقراطيتنا.

هنا، يجادل المؤلفان بأن هناك حاجة إلى نوع مختلف من الإصلاح المؤسسي، في عالم حيث الأصول غير الملموسة - كل شيء من الملكية الفكرية المحمية مثل براءات الاختراع إلى التعرف على العلامة التجارية وقواعد البيانات - تقود الأداء الاقتصادي. حجتها أنه لا يمكن فهم الانخفاض الواضح للمنافسة بشكل صحيح دون مراعاة الأهمية المتزايدة للأصول غير الملموسة. وعندما يتم أخذ تأثيرها في الاعتبار، فإن بعض أعراض القوة السوقية المتنامية، مثل ارتفاع هوامش الربح والتركيز الأكبر على المستوى الوطني في بعض الأسواق، يتبين أنها وهمية. البعض الآخر حقيقي، لكنه مدين بالقدر نفسه إلى الطبيعة المتغيرة لرأس المال. إضافة إلى ذلك، فإن الشركات الغنية بالمواد غير الملموسة تخلق تحديات مختلفة للمنظمين؛ مما يتطلب منهم أن يكونوا أكثر خبرة. أخيرا، بينما تركز مكافحة الاحتكار عادة على انخفاض المنافسة بين الشركات، فإنه من المهم النظر في زيادة

بالاعتماد على خبرة هاسكل ويستليك في طبيعة التمويل وصنع السياسات الاقتصادية، تضع «إعادة بدء المستقبل» مجموعة من الحلول الجذرية والعملية التي يمكن أن تقودنا إلى المستقبل.

يقال لنا إننا نعيش في عصر الاحتكارات. ربما ولت الأيام التي كانت فيها ستاندرد أويل أو إيواس ستيل تسيطر على الاقتصاد، وتديره بالشكل الذي يناسبهم: لقد ولت منذ زمن بعيد. لكن افتح هاتك الذكي، كما يجادل النقاد، فإن الأيقونات المتوهجة التي تراها، تمثل مجموعة من الاحتكاريين في كل شيء يتمتعون بالقوة والرسوخ. والمشكلة ليست فقط في منصات التكنولوجيا التي تبلغ قيمتها تريليون دولار. يمكن رؤية الضجوة المتزايدة بين الشركات الأكثر ربحية وإنتاجية، والمتقاعدتين في معظم البلدان والقطاعات.

على مدى العقد الماضي، كان هناك عدد كبير من الآراء حول الإصلاح المؤسسي اللازم للتعامل مع تناقص المنافسة بين الشركات. في جوهرها فكرتان: الأولى هي أن سياسة المنافسة كانت تسير في الاتجاه الخاطئ لمدة أربعة عقود، والمشاكل تعود الآن لتجد نفسها، والثانية هي أن شركات التكنولوجيا تمثل تهديدا جديدا وخطيرا بشكل خاص للأسواق التنافسية.

العلاج الأكثر شيوعا هو العودة إلى مبادئ مكافحة الاحتكار في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولا سيما الرغبة الأكبر في التدخل عندما تتمتع الشركات بحصص كبيرة جدا في السوق. يصف المؤيدون أنفسهم أحيانا بأنهم من أتباع البرانديز الجدد، بعد لويس برانديز، قاضي المحكمة العليا المخالف للثقة في أوائل القرن العشرين. يشير منتقدوهم إلى حركتهم، بحيويتها الخلفية للمستقبل، على أنها «محب ضد الاحتكار».

إن وجهة النظر القائلة بأن مكافحة الاحتكار تخذلنا، خاصة في المجال الرقمي، تحظى بتأييد واسع. يُعد التحقيق الذي أجرته اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب الأمريكي عام



الخاص (وهي في الواقع مزيج من الأجور والأرباح). يتم قياس الأرباح من خلال الإقرارات الضريبية من الشركات. لذلك سوف تتغير الأرباح لسببين على الأقل. أولاً، إذا تغيرت أعداد أو معاملة العاملين لحسابهم الخاص كشركات. ثانياً، إذا تعاملت الحسابات القومية مع المباني كأصول، كما هو متوقع لأن المباني هي مصادر دائمة لخدمات رأس المال. ومع ذلك، اتضح أن ما يقرب من 20% من رأس مال الشركات غير المالية في أوروبا، هو في الواقع إسكان. ويقول المؤلفان: «عندما نتحدث عن الأرباح كمقياس للمنافسة بين الشركات، فإننا نريد بالتأكيد إزالة ذلك. لا يحدث الإسكان فرقاً كبيراً في رأس المال المقاس للشركات الأمريكية، لذلك كانت الأرباح في الواقع ترتفع. لكن خارج الولايات المتحدة، ظلت حصة الأرباح مستقرة».

أخيراً، هل يمكن أن تفسر قدرة الشركات الكبيرة على التوسع واستغلال أوجه التآزر الفجوة المتزايدة بين القادة والمتقاعسين؟ من خلال التحكم في عدد كبير من العوامل الأخرى، فإن الصناعات غير الملموسة الأكثر كثافة لديها تشتت إنتاجي متزايد، مما يشير إلى أن الأصول غير الملموسة هي المحرك الرئيسي لتشتت الإنتاجية.

المعنى الضمني لجميع هذه النتائج، هو أن الأشياء غير الملموسة تساعد في فهم الأزمة المتصورة للمنافسة البيئية بثلاث طرق. أولاً، إن تضمين الأصول غير الملموسة مثل العلامات التجارية يقلل أو يلغي الزيادات الواضحة في القوة السوقية التي قد نراها في البيانات. ثانياً، دعمت الأهمية المتزايدة للأصول غير الملموسة ظاهرة زيادة المنافسة المحلية، وهبوط المنافسة الوطنية حيث تفتح السلاسل الوطنية الغنية بالمواد غير الملموسة مؤسسات محلية جديدة. ثالثاً، إلى المدى الذي زاد فيه التركيز، يبدو أنه قد حدث ذلك في أكثر القطاعات غير الملموسة، مما يشير إلى أن خصائص رأس المال غير الملموس التي يفوز بها الربح قد تكون السبب بدلا من تدهور اليقظة السياسية.

تشير حجج المؤلفين إلى أنه عندما يتعلق الأمر بالمنافسة المتداخلة، فإن الأصول غير الملموسة توفر أسباباً للتفاوت، ورفضاً لمخاوف محبي مكافحة الاحتكار. لسوء الحظ، الأمور ليست بهذه البساطة؛ إذ يصعب تنظيم الاقتصاد غير المادي، مما يتطلب تغييرات في المؤسسات التي تطبق سياسة المنافسة.

الكتاب: إعادة تشغيل المستقبل: كيفية إصلاح الاقتصاد غير المادي

المؤلف: جوناثان هاسكل وستيان ويستليك

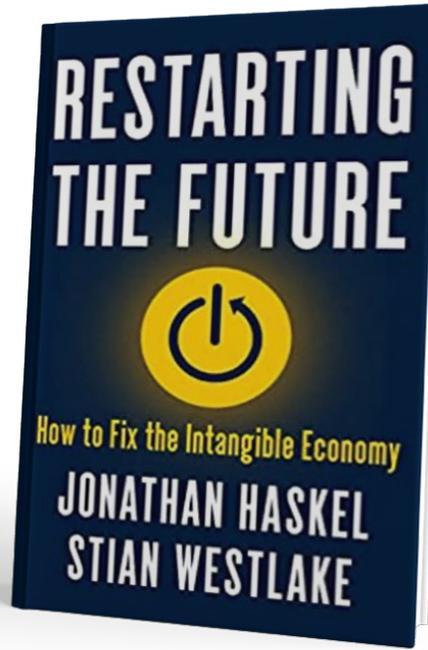
دار النشر: مطبعة جامعة برينستون

تاريخ النشر: إبريل 2022

عدد الصفحات: 336 صفحة

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة عمانية



الأسواق المحلية. إذا كان هذا يبدو مجرداً، فلننكّر في سلاسل البيع بالتجزئة الوطنية والدولية، التي تستثمر بكثافة في العلامات التجارية، والبرمجيات (لمراقبة الأسهم، وبرامج ولاء العملاء والتجارة الإلكترونية)، والعلاقات مع الموردين (الخطوة السرية لـ «الموضة السريعة») والمنتج الجديد للتنمية، جميع الاستثمارات غير الملموسة، إضافة إلى سلاسل السوق المتوسطة التي تنمو بسرعة من المطاعم المستقلة الناجحة. إن العالم الذي يحتوي على الكثير من هذه السلاسل، والذي تعتمد نماذج أعماله على الأصول غير الملموسة بطريقة لا تعتمد عليها معظم المتاجر المستقلة، من المرجح أن يكون لديه منافسة محلية أكثر حدة لا تظهر في أرقام التركيز الوطنية. تم إثبات هذه الفكرة أيضاً في عمل ماتيج باجار وكيارا كريسكولو وجوناثان تيميس في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، الذين درسوا العلاقة بين التغيرات في التركيز والشدة غير الملموسة. وأكدوا أن زيادة التركيز حدثت في الصناعات غير الملموسة الأكثر كثافة. لكن هوامش الربح للشركات الأمريكية، ومعدل العائد الإجمالي لم يتغير إلى حد ما، عندما يحسب المرء الزيادات في الأصول غير الملموسة في رأس مال الشركات. إن الربحية الجامحة للشركات هي على الأقل جزئياً قطعة أثرية لإهمال جزء متزايد الأهمية من رأس المال.

نرى شيئاً مشابهاً، كما يقول المؤلفان، عندما ننظر إلى الأرباح على مستوى الاقتصاد. يبدو من الطبيعي أن نتحول إلى الحسابات القومية لنصيب الناتج المحلي الإجمالي الذي تمثله الأرباح. وفي الولايات المتحدة وأماكن أخرى، ارتفعت حصة الأرباح. لكن القياس هنا محض بالصعوبة. بحث كل من جيرمان جوتيريز وصوفي بيتون في هذه البيانات، ووجدوا صورة مختلفة. الحسابات القومية تقسم الناتج المحلي الإجمالي إلى أجور وأرباح ومدفوعات للعاملين لحسابهم

تحل محل الشركات الرائدة حيث تتحسن منتجاتها. بالنسبة للبعض، هناك جانب آخر مقلق للمنافسة في الاقتصاد الحديث، وهو الطبيعة المجمعبة لبعض الشركات الجديدة. بدأت أوازنون كبائع للكاتب. لكنها تنتج الآن الأفلام وتبيع استضافة المواقع. انتقلت جوجل من محرك بحث إلى الإعلان عبر الإنترنت، إلى خدمة البريد الإلكتروني، وإلى السيارات ذاتية القيادة. هذا يذكرنا كثيراً بالهيكل الصناعي في الستينيات، عندما هيمنت التكتلات الكبيرة على العديد من الصناعات. لم تنته هذه القصة بشكل جيد: كانت التكتلات بطيئة وغير منتجة، وانتهى الأمر بمعظمها بفعل قوى السوق.

باختصار، يرى الكثير من الناس زيادة التركيز، وزيادة عزل القادة عن المتقاعسين، والاتجاه نحو التكتلات كدلالات على قلة المنافسة. وهم يجادلون بأن الافتقار إلى المنافسة يأخذ الاقتصاد إلى العديد من الأماكن السيئة: انخفاض الابتكار، وسوء الإدارة وممارسات التوظيف، والسعي وراء الربح، والمستهلكين غير الراضين الذين ليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه.

أما عن تأثير الأصول غير الملموسة على المنافسة بين الشركات، فيعتقد المؤلفان أن ارتفاع الأصول غير الملموسة يقدم تفسيراً بديلاً لما حدث للمنافسة. ضع في اعتبارك تركيز السوق أولاً. هنا، من المهم ملاحظة الفرق بين التركيز في الأسواق الوطنية، والتركيز في الأسواق المحلية. بالنسبة للعديد من السلع، فإن التركيز الوطني أقل أهمية للمنافسة من التركيز المحلي. تخيل دولتين مختلفتين. في البداية، لا توجد سلاسل سوبر ماركت، ولكل مدينة سوبر ماركت واحد مستقل. في الثانية، هناك سلسلتان لمتاجر السوبر ماركت، ولكل بلدة متجر واحد تملكه كل سلسلة. في الدولة الأولى، يمكن لكل سوبر ماركت مستقل أن يتصرف مثل المحتكر؛ لأن قلة من الناس سيسافرون إلى المدينة التالية للتسوق الأسبوعي. سيكون التركيز الوطني المقاس أعلى بشكل كبير في الدولة الثانية. لكن المستهلكين قد يفضلونها؛ لأن كل مستهلك لديه متجران للاختيار من بينها، ومن المحتمل أن تكون هناك منافسة أكبر من حيث السعر والتنوع.

فحص البحث الذي أجراه تشانغ تاي هسيه واستيبان روسي هانسبيرغ الفرق بين التركيز المحلي والوطني في الولايات المتحدة منذ عام 1977. وخلصا إلى أن التركيز القومي قد ارتفع بينما انخفض التركيز المحلي. والسبب غير ملموس بشكل كبير: «لقد أتاحت التقنيات القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واعتماد ممارسات الإدارة الجديدة أخيراً للشركات خارج التصنيع توسيع نطاق الإنتاج في عدد كبير من المواقع».

بعبارة أخرى، نظراً لأن الأصول غير الملموسة قابلة للتطوير، يمكن أن تنتشر الشركات الخدمية ذات الأصول القيمة غير الملموسة (مثل العلامات التجارية الشهيرة، أو ممارسات الإدارة القوية أو عروض المنتجات المميزة) عبر العديد من

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

فرويد في بلومزبري

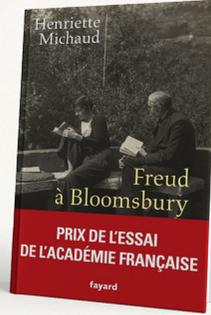
المؤلف: هنرييت ميشو

الناشر: دار فايار، باريس، فرنسا

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات: 288 صفحة

يقدم هذا الكتاب الحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية الصيغة الحقيقية، لجيمس وأليكس ستريشي، الناقلين للتحليل النفسي من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية في أوائل العشرينات من القرن الماضي. كنا ينتميان إلى مجموعة بلومزبري، وهي مجموعة من المثقفين والفنانين تضم



كذلك فيرجينيا وولف وزوجها ليونارد، مؤسس دار النشر هوغارث.

ذهب جيمس ستريشي وزوجته أليكس إلى فيينا عام 1920 للتدرب لدى فرويد على التحليل النفسي والترجمة. كان الانسجام مع المؤسس فورياً. وكان يقدم لهما نصوصاً للترجمة ويناقش اختيار المصطلحات معهما. وبعد العودة إلى لندن، أكمل الزوجان ترجمة التحليل النفسي لخمس حالات لفرويد ثم نشرها ضمن بلومزبري الأدبية، ومنشورات هوغارث. كان أول عمل يترجم لفرويد بالإنجليزية.

بعد عشرين عامًا، في عام 1946، استؤنفت مغامرة الترجمة بشكل غير متوقع. فبعد وفاة فرويد، أراد ابنه إرنست طبعة مرجعية كاملة، فحث جيمس ستريشي وليونارد وولف على القيام بهذه المهمة الجبارة. وافق جيمس وهو في الستين، كان حينذاك مطلقاً نفسياً مشهوراً،

ما الفائدة من الماضي؟

المؤلف: بيير فيسبيريني

الناشر: دار فايار، باريس، فرنسا

تاريخ النشر: 2022
عدد الصفحات: 256 صفحة

يحلل المؤلف إحدى مفارقات عصرنا وتتمثل في التقليل من قيمة الماضي - وأن المعرفة به ستكون عديمة الفائدة في مجتمع حديث - ومع ذلك فالماضي مستمر كثيراً - والدليل على ذلك السيطرة التي تمارسها الأنظمة الشمولية على الذاكرة العامة. ومع ظهور ثقافة الإلغاء، تأتي المناقشات الشرسية الآن من المجتمع نفسه. هذه الحركة بالتحديد هي التي يحاول المؤلف فك شفرتها، من خلال التركيز على ثلاث مشاكل رئيسية: الذاكرة التاريخية (الرموز غير المفككة، الأسماء المحذوفة)؛ وصولاً إلى مكانة العصور القديمة الكلاسيكية في الجامعة.

في السنوات الأخيرة، وفي أنحاء العالم جميعه، رأينا بانتظام أكثر الشخصيات المرموقة والتخصصات والأعمال في الثقافة الغربية تتعرض للتحدي والانتقادات من قبل أقلية من النشطاء الشباب الذين يطالبون باستبعادها من الثقافة المشتركة. وباختصار، يدعون إلى موها: وذلك لن يكون هذا الإلغاء، في الأساس، سوى نظام لإضفاء الشرعية على النظام الأبوي والعنصري والاستعماري.

لمواجهة هذه الاتهامات، يشعر الكثيرون بالحيرة. ومع ذلك فهي واحدة من أهم النقاشات في عصرنا الحالي. ماذا نقول لأولئك الذين يهتمون تشرشل بأن رؤيته للعالم «عصرية»؟ وإلى أولئك الذين يجادلون بأن كارمن تنتهي بـ«قتل النساء»؟ هذا صحيح. لكن هل يجب تفكيك تمثال رئيس الوزراء البريطاني أو إعادة كتابة نهاية أوبرا بيزيه؟



أوروبا: الأسطورة كاستعارة

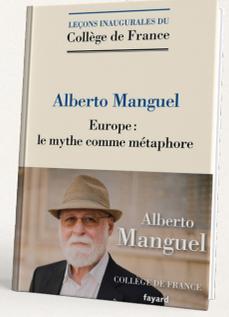
المؤلف: ألبرتو مانغويل

الناشر: دار فايار، باريس، فرنسا

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات: 96 صفحة

يتألف الكتاب من محاضرات قدمها ألبرتو مانغويل في كوليغ دو فرانس بعنوان: «اختراع أوروبا من خلال اللغات والثقافات»، يستقصي مانغويل على مر القرون والأمكنة أسطورة أوروبا، التي ربما يكون محتواها هو المحك الذي يمنح شعوب أوروبا هوية مشتركة وبديهية. الأسطورة هي في الأساس إزاحة، واستعارة، وترجمة، كلمة تعني «النقل من مكان إلى آخر». تحوّل الأساطير وتغير وتتجدد لتتوافق مع احتياجات الزمان والمكان. ومع ذلك، تظل في جوهرها ذاتها، بحيث تنشأ ليس كتلفيات للخيال البشري ولكن كمظاهر ملموسة لبعض البديهيات الأصلية. يحلل ألبرتو مانغويل في المكان والزمان أسطورة أوروبا بعمق وشغف ساحرين، وللتذكير فالمؤلف روائي وكاتب مقالات ومحرر وناقد أدبي ومترجم ذائع الصيت عالمياً، ألف العديد من الكتب، بما في ذلك تاريخ القراءة الحاصل على جائزة ميديسيس، عام 1998). يشغل حالياً منصب مدير مركز أبحاث تاريخ القراءة في (لشبونة)، وهو أيضاً أستاذ زائر في كوليغ دو فرانس للعام الدراسي 2021-2022.



اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

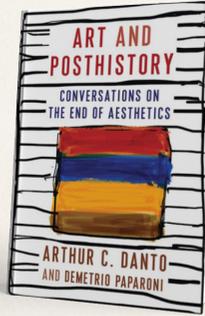
الفن وما بعد التاريخ (حوارات عن نهاية الجماليات)

المؤلفة: آرثر دانتو ودميتريو بباروني

دار النشر: أمطاب جامعة كولومبيا

سنة النشر: 2022

من المعلوم أنه لَيْنُ كان أغلب فلاسفة الفن اليوم قد أماتوا نظرية هيجل في موت الفن، فإن آرثر دانتو يكاد يشكل استثناءً بهذا الصدد. وفي هذا الكتاب نطلع على محادثات الرجل منذ التسعينيات من القرن الماضي عن الفن المعاصر رفقة الناقد الفني الإيطالي البارز ديميتريو بباروني. وتشمل أحاديثهما طيفا واسعا من المواضيع، من فن البوب الأمريكي إلى النزعة الحديثة في الفن التجريدي وغيرها. ويعود النقاش، كما المراسلات بينهما، إلى أطروحة الرجل حول ما بعد التاريخ ونهاية الفن؛ وذلك من خلال مناقشة أعمال أشهر الفنانين المعاصرين من أندي وارول إلى وانغي جوانجي، وهما يصطحبان في محادثتهما الشيقة هذه فنانا وفيلسوفاً إيطالياً لإكساب النقاش مزيداً من الطعم الفريد.



نيستي، بروتش وشورت: مغامرات في الفلسفة مع أطفالنا

المؤلف: سكوت هرشوفيتس

دار النشر: مجموعة بنجوين للنشر

سنة النشر: 2022

بات موضوع الفلسفة للأطفال موضوعاً مغريباً. ولم يأل بعض أهل الفلسفة جهداً في إنشاء مدارس لتعليم الأطفال الفلسفة وللتأليف في هذا المضمار. ولعل أبرزهم كان هو ماثيو ليبمان الذي شرع في تمارينه الفلسفية رفقة الأطفال منذ بداية السبعينات من القرن الماضي. لكن العجيب أن الكتاب الذي بين أيدينا يروي مسيرة الفيلسوف الأمريكي مدير برنامج القانون والأخلاقيات وأستاذ القانون والفلسفة بجامعة ميشيغان مع أطفاله. وكان للرجل طفلان - ريكس وهانك - لاحظ أنهما ما أن اقتدرا على الكلام، حتى باتا يطرحا تساؤلات ذات طبيعة فلسفية، وصمما على الجواب عنها. وقد أعادا ابتداء الحجج القديمة، وقدمتا حججا جديدة. والذي يراه الوالد أن ما من طفل إلا وهو فيلسوف بالسليقة. ومن خلال أسئلة طفليه، يأخذنا الأب معه في رحلة شيقة زادها تساؤلات فلسفية حول العقاب والسلطة والجنس والنوع والعرق وطبيعة الحقيقة والمعرفة ووجود الله، رفقة فلاسفة محترفين، ميرزا أن لدينا الكثير مما نتعلمه من الأطفال والتفكير برفقتهم.



الممارسة والمنهج المعاصرين في فلسفة الدين

المؤلف: ديفيد شيدام ورولف كينج

الناشر: بلومسبري

تاريخ النشر: 2022

هذا مدخل جيد إلى ميحث فلسفة الدين الذي صار يحظى في العقود الأخيرة بعناية جليظة ضمن مباحث الفلسفة. وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أمور ثلاثة: أولاً؛ عدم تقوقعه في تقليد الفلسفة الأنجلوسكسونية الصرفة، وإنما انفتاحه على تقاليد إيمان أخرى غير التقاليد الغربية بعامة. ثانياً؛ جمعه بين أهل الأديان ومن لا دين لهم في مناقشة هادئة ومريحة حول الدين ودوره في العالم المعاصر. ثالثاً؛ سعيه إلى التعريف بطائفة من الفلاسفة الجدد المتخصصين في فلسفة الدين، وتقديمه لهم بقلمهم تاركاً لهم فسحة لكي يصفوا ممارساتهم ولكي يرووا عن تجاربهم.

